أربعينية الحاكم الجشمي

أربعون حديثا وشرحه منتزع من مخطوطة جلاء الأبصار في تأويل الأخبار لشيخنا الحاكم الجشمي

مدقن عبد الله المعتزلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالقدم، القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، المنزه عن المكان والزمان والصعود والنزول، تبارك وتعالى الإله العدل الذي لا يأمر بالجور ولا يرضاه، ولا يقضي بالفساد , ولا يخلق أفعال العباد، صادق الوعد والوعيد فلا يُبدّل القول لديه، واهب العقول ومرسل الرسل، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وصلى اللهم على سيد الرسل وخاتم الأنبياء محمد وعلى آله الأطهار سفينة النجاة عليهم السلام أجمعين، ورضي عن المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، أخي/أختي ، أقدم بين أيديكم هذا العمل البسيط المتواضع ، وهو عبارة عن مختارات من أحاديث رواها شيخ العدلية الحاكم الجشمي رحمه الله وشرحها في كتابه تأويل الأخبار في جلاء الأبصار، وما أنا هنا إلا ناقل لهذه النصوص، فلا يتعبر هذا العمل تحقيق، تحقيق المخطوطات عمل جبّار وفن عظيم أنا لا أحسنه ولا أتقنه، فن دقيق له أهله ولست منهم، فالأفضل تركه لأهله، لأن من دخل فيه وهو ليس بأهل لهذا الاختصاص قد يأتي بالعجائب ويسيء فهم كلام صاحب المخطوطة، ربما يتلاعب ببعض الكلام من غير قصد وبتعمد منه، وكل هذه كوراث، وهذا كتنبيه فقط حتى لا يحمل أحدكم ولو ظنا أن هذا العمل تحقيق، بل مجرد اعادة كتابة بعض الصفحات المختارة من مخطوطة كبيرة لها عدة نسخ، وقد اعتمدت على نسختين منشورتين في تلغرام مخطوطات ومطبوعات الزيدية، الظاهر أن النسخة أ هي نسخة مقدمة من العلاّمة أحمد بن سعد الدين الموسوي، أما النسخة ب لا أعرف من نسخها بالضبط، نسأل الله التوفيق والسداد وأن يلطف بالعبد الفقير ويجعل في هذا الكتاب القبول، وإن كان هناك أي خطأ أو تصحيف فهو مني، وأعتذر عنه مسبقا.

مدقن عبدالله المعتزلي

غرداية ، في 14/02/2022 ، على الساعة 22:35.

إهداء

أهدي هذا العلم المتواضع لأخي شيخنا في الحديث فضيلة الدكتور أبو الحسن كريم بن طارق السبادلي التركماني الباعلوي المالكي، وفضيلة الدكتور والأخ الحبيب الغالي معتز شطا، وكذلك الأخ والشيخ أسامة حمودة، ودكتورنا الفاضل محمد رياض، والأخ الفاضل توفيق سعادة، والزميلة الأخت أسماء بوحميدة، حفظهم الله أجمعين، ونفعنا بعلمهم.

النسخة "أ" :

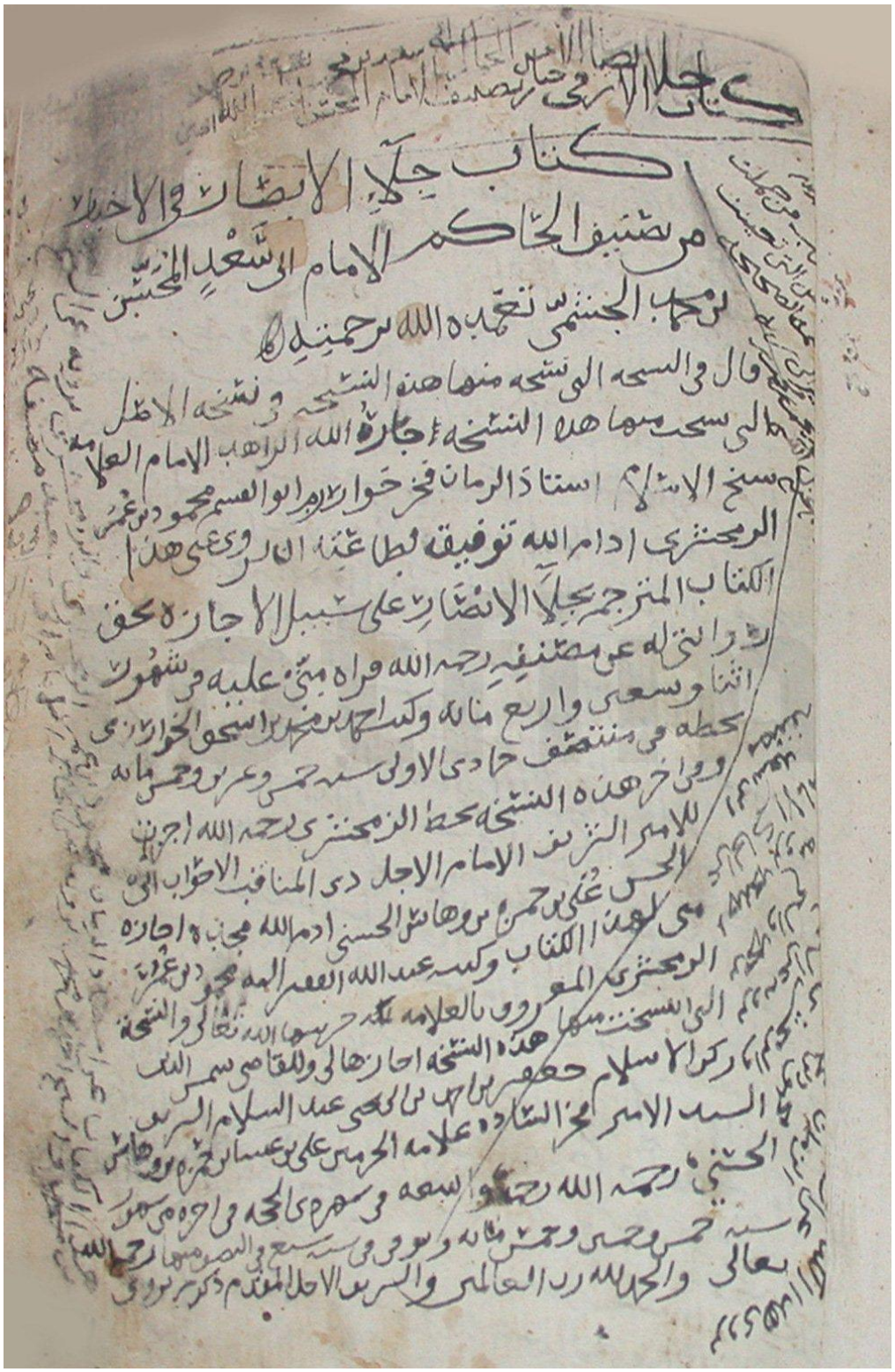
كتاب جلاء الأبصار في حال تصنيف الإمام المحسن
كتاب جلاء الأبصار في الأخبار
من تصنيف الحاكم الإمام أبي سعد المحسن
بن محمد الجشمي تغمده الله برحمته
قال في النسخة التي نسخت منها هذه النسخة ونسخة الأصل
التي نسخت منها هذه النسخة أجازه الله الراهب الإمام العلامة
شيخ الإسلام أستاذ الزمان فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر
الزمخشري أدام الله توفيق لطاعته أن روى هذا
الكتاب المترجم بجلاء الأبصار على سبيل الإجازة بحق
روايته له عن مصنفه رحمه الله فرواه مني عليه في شهور
اثنا وسبعين وأربع مائة وكتبه أحمد بن محمد بن إسحق الخوارزمي
بخطه في منتصف جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وخمس مائة
وفي آخر هذه النسخة بخط الزمخشري رحمه الله أجزت
للأمير الزين الإمام الأجل ذي المناقب الأحوذي أبي
الحسن علي بن حمزة بن وهاس الحسني أدام الله مجده إجازة
ما تضمنه هذا الكتاب وكتبه عبد الله الفقير إليه محمود بن عمر
الزمخشري المعروف بالعلامة تجاه حرسها الله تعالى والنسخة
التي انتسخت منها هذه النسخة أجازها للقاضي سمي الله
بركة الإسلام جعفر بن أبي الحسن بن أبي يحيى عبد السلام الربعي
السيد الأمير المجد السادة علامة الحرمين علي بن عساكر بن حمزة بن وهاس
الحسني رحمه الله رحمة واسعة وسهل إلى الجنة في آخرة من سنة
سنة خمس وخمس مائة وهو في سنة سبع وفي النسخ منها رحمه الله
تعالى والحمد لله رب العالمين والسريع الأجل المقدم ذكره توفي

كتاب جلاء الأبصار في تأويل الأخبار

تصنيف الحاكم الإمام

أبو سعد المحسن بن محمد

بن كرامة الجشمي أجزل الله ثوابه

الحاكم الجشمي

هو الإمام الحاكم أبو سعيد المُحَسِّن بن محمد بن كُرَّامة الجشمي، ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام –، وجشم: قبيلة من خراسان كما في (طبقات الزيدية) ومن قرى بيهق كما في (معجم البلدان) أما بيهق فقال في (الطبقات): أكبر مدينة في خراسان، وفي (معجم البلدان والأنساب): ناحية كبيرة، وكورة واسعة، كثيرة البلدان والعمران، من نواحي نيسابور.

ولادته ونشأته

ولد الحاكم في بلدة جشم في شهر رمضان سنة413هـ ، ونشأ في هذه القرية من ضواحي بيهق بخراسان نشأة كريمة في إقليم يغلب على أهله التشيع، فطلب العلم على مشائخ وعلماء تلك الجهات والنواحي في عصره، فبرع في فنون العلم، وأصبح إماماً وأستاذاً ومرجعاً في أغلب الفنون، وألّف وصنَّف واشتهر.

شيوخه

من شيوخه:

الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق البخاري النيسابوري المتوفى سنة433هـ ، وهو أول شيوخه، قرأ عليه الكلام وأصول الفقه، واختلف إليه في أول عهده في سن مبكرة، وأكثر من الرواية عنه.

قال الحاكم في (شرح عيون المسائل): ((أول من لقيناه من مشائخ أهل العدل وأخذنا عنه، شيخنا أبو حامد، وكان قرأ على قاضي القضاة فقرأت عليه من لطيف الكلام وجليله، ومن أصول الفقه، وكان يجمع بين كلام المعتزلة، وفقه أبي حنيفة، ورواية الحديث، ومعرفة التفسير والقرآن)).

قال عدنان زرزور صاحب كتاب (الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن): ((ويبدو أنه لم يختلف طيلة حياة شيخه أبي حامد إلى أحد سواه)).

الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله، قال عدنان زرزور: ((نيسابوري الأصل، بيهقي الوطن، متوفى سنة457هـ ، اختلف إليه الحاكم بعد وفاة شيخه أبي حامد، وكان أبو الحسن هذا قرأ على السيد الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، المتوفى سنة424هـ ، وقرأ عليه الحاكم شيئاً من الكلام وأصول الفقه والتفسير، وكان من المعجبين بفضله وخطابته)).

الشيخ أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي، قاضي القضاة، المتوفى سنة447هـ ، قال الحاكم: ((واختلفت إليه سنة434هـ))، قال زرزور: ((أي بعد وفاة شيخه أبي حامد، وكأنه اختلف إلى مجلس شيخيه أبي الحسن وأبي محمد في وقت واحد، وكان أبو محمد من أصحاب أبي حنيفة، وكان لا يخالف أهل العدل إلا في الوعيد)). قال الحاكم: ((فقرأت عليه في (أصول محمد بن الحسن)، و(الجامع) و(الزيادات).))

قال زرزور: ((ويبدوا أنه لا نزاع في أنه قرأ على اثنين من الشرفاء هما: محمد بن أحمد بن مهدي الحسني وكان زيدياً ممن أخذ على السيد الإمام أبي طالب أيضاً، وأبو البركات هبة الله بن محمد الحسني الذي كان يميل إلى الزيدية)).

ذكر زرزور من شيوخه: الشيخ أبا الحسن علي بن الحسن، الذي وصفه الحاكم في (شرح العيون) بأنه ((حسنة خراسان، وفرد العصر، وإمام زمانه، والمبرز في العلوم، والمقدم في أصحاب أبي حنيفة، والداعي إلى التوحيد والعدل بالقول والفعل)).

الشيخ أبو حازم سعد بن الحسين.

القاضي أبو عبد الله إسماعيل بن منصور الحرفي.

أبو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي في نيسابور.

أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني.

وفي (طبقات الزيدية) زاد السيد إبراهيم بن القاسم:

أبو الحسين أحمد بن علي بن أحمد قاضي الحرمين.

أبو يعلى الحسين بن محمد الزبيري.

أبو محمد قاضي القضاة عبد الله بن الحسن، سمَّع عليه في شوال سنة436هـ .

أبو علي الحسن بن علي الوحشي الحافظ.

أبو الفضل الأمير عبد الله بن أحمد الميكالي.

أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النبلي.

أبو الحسن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي.

أبو الحسن إسماعيل بن صاعد.

أبو عبد الله محمد بن عميرة. وغيرهم.

تلامذته

أما تلامذته فذكر في (الطبقات) منهم:

ولده محمد بن المحسن، وجار الله الزمخشري صاحب (الكشاف) كما ينقل ذلك القاضي الحافظ (أحمد بن سعد الدين المسوري)، وأحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي، وعلي بن زيد البروقني وغيرهم.

عقيدته ومذهبه

كان الإمام الحاكم الجشمي رضي الله عنه وأرضاه حنفيا في الفقه معتزلي العقيدة، ثم تحول إلى الفقه الزيدي، فالشيخ أبي حامد الذي روى عنه جل هذه الأخبار كان حنفيا وهو أشهر شيوخه، إلا أنه يصعب جدا أن نحدد فترى هذا التحول ولماذا، وقيل أنه أصبح زيدي العقيدة أيضا، فقد استدل كثيرا بأقوال أئمة الزيدية في تفسيره وذكر بعض أقوالهم كتابه جلاء الأبصار، أما إستدلال الدكتور رمضان يلدرم حفظه الله بأنه معتزلي لأنه يقول شيخنا أبو هاشم وأيد القاضي وأثنى عليها فهذا لا يعتبر دليلا، فهذا الشيخ العلامة المتكلم القرشي يقول شيخنا ابو هاشم وهكذا، ومعلوم أن القرشي زيدي، أما استدلال الدكتور بمسألة الإمامة فهذا نعم يعتبر دليلا، فالحاكم يرى أن مسألة الإمامة من الفروع لا من الأصول، وهذا عكس الزيدية والله أعلم، وفي نظري أن هذه المسألة لا تهم كثيرا، بل أراها أحيانا مضيعة للوقت، إذ لا يهم إن كان معتزليا أو زيديا، كلا المذهبين يصرحون بالأصول الخمسة ويدينون بها، والخلاف في الإمامة، وقد صرح كبار علماء المذهب أن هذا الخلاف ليس بشيء عند التحقيق، وهناك تلاحم وتداخل شديد بين المعتزلة والزيدية لا ينكره إلا مكابر، فطرح مسألة أن فلان كان معتزليا أو زيديا أو أن المعازلة تأثروا بالزيدية أو أن الزيدية تأثروا بالمعتزلة قد تكون لغو، في وقت تُحَارَبُ فيه الزيدية، يضيقون على مرشديهم من جهة والحرب تأكلهم من جهة، وفي وقت وجود قلة قليلة من المعتزلة وجب أن يتحدوا للحفاظ على وجودهم ونشر التوحيد والعدل بدل الخوض في هذه الموضوعات.

مؤلفاته:

1- رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس [طبع]

2- التهذيب في التفسير [طبع]

3- تحكيم العقول في تصحيح الأصول [طبع]

4- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين [طبع]

5- الرسالة في نصيحة العامة [نشر الكترونيا]

6- عيون المسائل في الأصول [طبع]

7- شرح عيون المسائل [مخطوط لم يحقق بعد]

8- كتاب العيون في ذكر أهل البدع [مخطوط لم يحقق بعد]

9- التأثير والمؤثر [مخطوط لم يحقق بعد]

10- جلاء الأبصـــار في تأويل الأخبار [مخطوط لم يحقق بعد] وهو الذي أخذت منه بعض الروايات وشـــروحها، والدكتور حسن أنصاري قال لي أنه قائم على تحقيقها والظاهر أنها ستنشر قريبا.

11- السفينة الجامعة لأنواع العلوم [مخطوط لم يحقق بعد]

خاتمة حياته ووفاته

بعد حياة حافلة بالعلم والعمل قضاها الحاكم في بلده جشم في إقليم خراسان تركها ولم يعد إليها، ومن المحتمل أنه ترك بلده في أواســـط القرن الخامس عندما تركها كثير من أعلام المذاهب الأخرى، كالجويني، والقشـــيري، نتيجة للفتن الشديدة التي حصلت بين الشيعة وأهل السنة هناك إلا أن هؤلاء عادوا وقرّبهم نظام الملك، وبنى لهم المدارس الكثيرة في نيسابور، وصاحبنا الحاكم فضّل البقاء في مكة مجاوراً ومبعتداً عن الفتن، وبخاصة أن مكة كان فيها كثيرٌ من الشرفاء الزيدية، منهم بنو سليمان بن حسن الذين ينتسب إليهم ابن وهاس إمام الزيدية بمكة المتوفى سنة656هـ ، كما ذكر عدنان زرزور عن (العقد الثمين) للفاســي، ويســتبعد زرزور أن يقيم الحاكم بمكة كل هذه المدة الطويلة، ثم يموت فيها مقتولاً ويســكت عنه المؤرخون مثل هذا الســكوت، ويقول: لعله بقي في بيهق، وقد قتل الحاكم – رحمه الله – بمكة غيلة شهيداً في الثالث من شهر رجب سنة494هـ عن81عاماً، وكان سبب قتله كما ذكرنا رسالته الموسومة برسالة إبليس أو رسالة أبي مرة.

قال يحيى بن حميد في (نزهة الأنظار): ((وكان قتله بســبب ما قاله في العدل والتوحيد وحب أهل البيت، في رســالته الموسومة من أبي مرة إلى إخوانه المجبرة)).

وقال ابن أبي الرجال في (مطلع البدور): ((واتهم بقتله أخواله وجماعة من المجبرة بسبب رسالته المسماة (رسالة الشيخ أبي مرة)).

وقال السيد إبراهيم بن القاسم صاحب (الطبقات): ((وله رسالة تسمى (رسالة الشيخ أبي مرة)، كانت السبب في مقتله)).

الحديث الأول:

أخبرنا الحاكم الإمام قال أخبرنا الشيخ أبو خالد أحمد بن محمد قال حدثنا الحسين بن علي التميمي الميكاني قال أخبرنا أبو العبّاس محمد بن اسحاق بن ابراهيم الثقفي قال حدثنا مخلد بن الحسن بن أحمد الثقة الصدوق قال حدثنا عبيد الله بن عمر والرقي عن زيد بن أبي أنيسة عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه وآله وسلم: {لا يسرق السارق حتى يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولكن أبواب التوبة معروضة}

قال رضي الله عنه: الخبر في الصحاح ومعناه أن الزاني والسارق وشارب الخمر لا يكون مؤمنا حتى يتوب، وإذا ثبتت في هذه الخصال كذلك جميع الكبائر إذ لا فاصل بينهما في الأمة.

الحديث الثاني:

أخبرنا الإمام الحاكم قال أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد قال أخبرنا الشريف أبو يعلى الحسين بن محمد الزيدي قال حدثنا أبو علي أحمد بن علي القليسي قال حدثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال حدثنا علي بن موسى الرضي عن آباءه عن علي عليهم السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان}

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: ومعنى هذا الخبر أن المؤمن من إجتمعت فيه هذه الخصال، وهذا مذهب أهل العدل.

الحديث الثالث:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد قال أخبرنا أبو عمر وبن حمدان قال حدثنا أبو يعلى الموصلي قال حدثنا أبو نصر التمّار قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد ويونس وحميد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل عبد الجنة لا يأمن جاره بوائقه}

قال الحاكم الإمام: الخبر في الصحاح ومعناه أن المؤمن لا يكون مؤمنا إذا لم يأمن الناس شره ولا يدخل الجنة من لا يأمنه جاره، فيدل على الوعيد والمنزلة[1].

الحديث الرابع:

أخبرنا رضي الله قال أخبرنا الشيخ أبو حامد قال أخبرنا أبو الحسن الحربي قال حدثنا محمد بن جعفر بن أحمد المطيري قال حدثنا أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا ابو خلف عن يونس عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من كمال الإيمان حسن الخُلق}

قال رضي الله عنه: معناه أن الخُلُق فعل العبد وهو ما يعتاده من الخير والشر، فمن تعود الخير فذلك كمال إيمانه، فيدل على أن الإيمان خصال كثيرة، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: {الإيمان بضع وسبعون درجة أعلاها كلمة لا إله إلا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق} ويبين صحة ما قلناه في حسن الخلق ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: [كان خلقه القرآن خد العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين] ولبعضهم:

النفس آلفة لما عودتها ... إن كان ذلك في ضلال أو هدى

فتعود الخيرات تخظ بخيرها ... فالخير أحسن ما تعوّده الفتى

وروي أسامة بن شريك أن رسول الله صلى الله عليه سئل عن أي الأعمال أفضل قال {حسن الخلق} وسئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال: [بسط الوجه وكف الأذى وبذل الندى]

الحديث الخامس:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن اسحاق النجار رضي الله عنه في شوّال سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة قال أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني قال أخبرنا أبو سليمان داود بن الحسين البيهقي حدثنا يحي بن يحي قال قرأت على مالك بن أنس عن سُمَيٍّ عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: {من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو عبى كل شيء

1 أي الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، وهما الأصلين الثالث والرابع عند المعتزلة وكذلك عن السادة الزيدية وعلماء آل البيت عليهم السلام.

قدير في اليوم مائة مرة كانت لع عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمشي ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطياه وإن كانت مثل زبد البحر }

قال رضي الله عنه: الخبر يتضمن فوائد منها: الترغيب في هذه المقالة من التسبيح والتهليل لما يجب لصاحبه من الثواب الجزيل ومنها: أنه تنبيه على معنى بذلك المعنى استوجب قائلها هذه المثوبة، لأن قول لا اله الا الله وحده لا شريك له ينبي على التوحيد، وإنما يصير كذلك إذا إعتقد أنه تعالى لا يشبه شيئا وأنه متفرد بصفاته التي يستحقها وقوله سبحانه سبحان الله ينبي عن تنزيهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص والأفعال القبيحة، فهاتان الكلمات يتضمنان بيان التوحيد والعدل فعَظُم موقعهما في الدين ، ومنها: أن جميع ذلك إنما يحصل بأسباب أعطاها الله تعالى من الآلة والقدرة والهداية فنحمده على هذه النعم، ومنها: قوله على كل شيء قدير قيل: معناه أنه يقدر على ما يصح كونه مقدورا وقيل لا شيء من المقدورات إلا وهو مقدور له، أما المعدومات فيقدر على إيجادها والموجودات الباقية على إفنائها وإعادتها وأفعال العباد على الإقدار عليها والتعجيز عنها، ومنها: أنها تحط الذنوب ومعناها الصغائر والكبائر إذا قارنها التوبة، والتوبة مع مقارنة هذه المقالة يعظم موقعها.

الحديث السادس:

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله أخبرنا الحسين بن علي التميمي قال حدثنا أبو قريش محمد بن جمعة قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن قابوس عن قابوس عن ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: {قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وآله: إن كان ما تقول حقا فاحيي لنا أشياخنا الموتى وافتح جبال مكة، فأنزل الله تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ } [الرعد : 31]}

قال رضي الله عنه: معنى هذا الخبر أن القوم اقترحوا آيات فلم يجابوا إليها وأجيبوا بالآية، فيقال: لماذا لم يجابوا؟ وأي جواب في قوله {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} [الرعد : 31]؟

فجوابنا: إنما لم يجابوا لأنه كان إظهاره مفسدة وقيل: لو أجيبوا فلم يسلموا لأتاهم عذاب الإستئصال كعادة الله تعالى في الأمم الماضية، وبهذا فُسر قوله: {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ} [الأنعام : 8] وقد قال تعالى: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام : 109] وإنما تظهر المعجزة على الرسول في وجوه، منها: ليعلم أنه نبي وأن ما أتاه أو سمعه وحي كما ظهر على موسى عليه السلام بالطور، ومنها: ما يظهر ليعلم قومه نبوته كسائر المعجزات، ومنها:

ما يسأله قومه ويعلم أنه لطف لهم فيجب إظهاره، ومنها: ما يظهر قبل النبوة، اختلف العلماء في جوازه، ومنها: ما يظهر بعده فلا بد من تعلق به من إخبار أو نحوه، فأما ما يقترح ويعلم أنه مفسدة أو يعلم أنه لا فساد فيه فلا يظهره فعلى هذه الوجوه تعتبر المعجزة، وقد حمل شيخنا أبو علي رحمه الله قوله: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء : 85] على أنه لم يخبرهم به لما فيه من المفسدة، فأما الجواب لقوله {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا} [الرعد : 31] يعني أو لم يكفهم القرآن معجزة، وَلَوْ أَنَّ كلاما تسُيِّرَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ تُقطِّعَ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ تُكلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى لكان بهذا القرآن فكيف لم يكتفوا به في الإعجاز، وقوله: {بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا } [الرعد : 31] إشارة إلى ما ذكرنا أن الأمور كلها له يفعل ما فيه المصلحة.

الحديث السابع:

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الحربي أخبرنا الحسن بن علي القاضي قال حدثنا محمد بن زكريا البصري أخبرنا أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين قال حدثنا عمي حسين بن زيد عن أبيه زيد عن أبيه علي بن الحسين عن ابيه علي ابن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى عليه وآله : {أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد}

قال رضي الله عنه: معنى هذا الخبر أن الإنسان ينبغي أن يبدأ بنفسه في الجهاد، فكفها عن الظلم والمنكرات ثم بأمر غير هو على هذا نبه تعالى بقوله: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ } [البقرة : 44] وليس ذلك بواجب وإن كان هو الأفضل لأن الأمر بالمعروف يجب عليه وإن لم يفعل بنفسه لأنهما تكليفان فالإخلال بأحدهما لا يوجب الإخلال بالآخر ، وروي عن الحسين أنه قال: [وَدَّ الشَّيْطَانُ لَوْ ظَفِرَ مِنْكُمْ بِهَذِهِ] يعني بترك الأمر بالمعروف لهذه العلة، والمروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال في خطبته: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [المائدة : 105] وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه يقول: {إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشكوا أن يعمّهم الله بعقابه} ومعناه أنهم يضعونه غير موضعه وإن الأمر بالمعروف لا يجب وليس كذلك، فإن الأمر بالمعروف واجب ولكن لا يؤخذ أحد بذنب أحد وإن لم يفعلوا ما أمروا به فقد فعلتم ما عليكم، وقيل إن الأمر بالمعروف دخل في قوله {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} فإن من أخل به كان مخلا بواجب فيستحق العقوبة، وقيل إنه يدخل في قوله: {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} وتقديره لا يضركم إذا لم يُجب من ضل إذا اهتديتم أنتم بأن نهيتموه عن ارتكاب المنكر فالواجب أن يبدأ بنفسه ويصلحها ثم يأمر غيره، وقد روي عن عبد الله بن الزبير قال: قال زيد بن علي: [إذا دعوتكم إلى أمر فلم اسبقكم إليه فلا طاعة لي عليكم]، وعن زيد بن علي عليهما السلام فيما رواه أبو

معمر عنه قال: [الإمام منا أهل البيت المفترض الطاعة علينا وعليكم وعلى المسلمين الذي دعا إلى كتاب الله وسنة نبيه وجرت على ذلك أحكامه وعرف بذلك فذلك الإمام فأما من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فأنى يكون ذلك إماما]

الحديث الثامن:

قال: أخبرنا الشيخ الإمام قاضي القضاة أبو محمد عبد الله بن الحسين يوم الثلاثاء، الرابع من شهر رمضان سنة ست وثلاثين وأربعمائة إملأ في داره، أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني في محرم سنة تسع وستين وثلاثمائة، حدثنا أبو سلمان داود بن الحسين البيهقي سنة ثلاث وتسعين ومائتين، حدثنا يحي بن يحي التميمي، أخبرنا عباد بن عباد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: {إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما، إتخذ الناس رؤسا جهالا، فإذا سئلوا أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا}

قال رحمه الله: في هذا الخبر إن الله تعالى لا يسلب الناس علمهم ولا يُبطِل الأدلة ولا ما به يكتسبون العلم لأن كل ذلك انتزاع للعلم، ولكن إذا مات العلماء ولم يتعلم الناس ورضوا بتقليد الجهال وقبولهم فَضَلُوا، فبيّن أنهم أتوا في ذلك من جهتهم لا من جهة ربهم، وفيه نهي عن التقليد والإتكال في الدين على الغير وحث على التعلم.

الحديث التاسع:

أخبرنا الإمام الحاكم الشهيد رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد، أخبرنا أبو الحسين بن أبي بشير الصبغي، أخبرنا أبو العبّاس الثقفي، حدثنا محمد بن نافع، حدثنا شبابة، قال: حدثني ورقاء، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الله أفرح بتوبة أحدكم منه بضالته إذا وجدها}.

قال رحمه الله: معنى الخبر أنه يريد ذلك ويرضاه، وإلا، فحقيقة الفرح لا يجوز عليه تعالى، لأن الفرح والسرور إعتقاد بنفع يصل إليه والغم إعتقاد ضرر، وذلك لا يجوز عليه تعالى، وفي الخبر التوبة فعل العبد، وإنه تعالى يحبها ويرضاها.

الحديث العاشر:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن في بغداد، حدثنا يحي بن محمد بن صاعد، [.....][2] حدثنا غندر ، حدثنا شعبة، عن واصل، عن مجاهد، عن أبي ذر،

2 إسم ممحي في النسخة [أ] وفي النسخة [ب] غير واضح، وظاهر النسخة الأولى أن الناسخ كتبه خطاءا ثم محيه.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: { أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأُحِلت لي الغنائم ولم تُحِل لغيري، ونُصِرت بالرعب مسيرة شهر على عدوي، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأعطيت الشفاعة، وهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا}

قال رحمه الله: معنى الخبر أن الأرض كلها طهور إذا لم يجد الماء تيمّم، ومسجد يصلي عليه، وأنه أحِلّ له الغنائم ويَحِلُّ لأمته ذلك، وأنه منصور بالرعب، وذلك بما يلقيه تعالى في قلوب الكفار لطفا لهم، وأنه مبعوث إلى الكافة، وأن له مقام الشفاعة؛ ومعنى قوله إنها "نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا" إذا مات على الإيمان والتوبة، فأما أصحاب الكبائر إذا لم يتوبوا فقد دلّ القرآن أنه لا شافع لهم بقوله: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر : 18].

الحديث الحادي عشر:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن محمد بن سهل رحمه الله، حدثنا محمد بن عبد الله الأصفهاني، حدثنا محمد بن خلف المروزي، حدثنا مسلم بن المغيرة، الأزدي، حدثنا أبو بكر بن عيّاش، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الفقيه أشد على الشيطان من ألف ورع وألف مجتهد وألف متعبد، وإن طير الهواء ونينان البحر يُصلون على معلم مُعَلِّمِ الخير وَمُتَعَلِّمِهِ}

قال رحمه الله: معنى هذا الخبر أن الأصل في الدين هو العِلْم، وأن العَمَل من دون العِلْم لا يصح، والمراد بألف مجتهد ومتعبد بغير علم، فيدُل على أن الواجب أن يبتدئ بالعلم، والفقيه من علم الأصول والفروع، لأن معرفة الفروع لا يصح إلا بعد معرفة التوحيد والعدل والنبوات، وقوله طائر الهواء يصلي على معلم الخير ومتعلمه فالمراد: لو كان يُصلِي على أحد لفضلِه لصلّى على المُعلِم والمُتَعَلِّمِ تعظيما لأمرهما، وتفخيما لشأنهما، ونظيره قول أمير المؤمنين عليه السلام: [الناس عالم ومتعلم، وسائر الناس همج لا خير فيهم]

الحديث الثاني عشر:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق النجّار رحمه الله، أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن محمد بن سهل، حدثنا أبو عبد الله محمد الأصفهاني، حدثنا أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمن الضبي ببغداد، حدثنا داود بن عمر الضبي، حدثنا صالح بن موسى الطلحي، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي

صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {سيأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما أتاكم منها موافقا لكتاب الله وسنتي فهو مني، وما أتاكم مخالفا لكتاب الله وسنتي فليس مني}

قال رحمه الله: الخبر هذا ينبه على أصل عظيم، وهو أن أخبار الآحاد إذا خالفت الأصول تُرَد، وإن وافقتها تُقْبَل، والأخبار على ثلاثة أضرب، إما أن تَرِد بما في الكتاب والسنة المقطوع بها، والعقليات والإجماع، فإنها تقبل وتكون مؤكدة، فإن كان فيه حكم ليس في الأصول ذلك بعينه يقبل ويُعْمَل به ولا يقطع على صحة الخبر، ولا يُعَدُّ مخالفا، لأن القرآن والإجماع دلّ على قبول مثل هذه الأخبار، والثاني: إذا ورد وظاهره يخالف ما ورد به الأصول، ويمكن حمله على تأويل لا تَعَسُّف فيه فإنه يُأَوّل ولا يقطع على صحته، وسواء كان ذلك في الأصول أو الفروع، والثالث: ما ورد مخالفا للأصول، ولا يمكن تأويله، أو إذا أُوِّل كان فيه تَعَسُّف شديد فإنه يَرَد ولا يقبل، وعلى هذا جميع ما روي في التشبيه، ولهذا قال مشايخنا رحمهم الله في اليد والوجه يُأَوَّل، وذكروا في الرجل أنه لا يُأَوَّل، لأن فيه تَعَسُّفا، فعلى هذا يعتبر هذا الباب، والمراد بالسنة في الخبر: ما تواتر نقله.

قلت: وقد أعاد ذكر هذا الخبر في مجلس آخر فقال الحاكم الإمام رضي الله عنه: السُنَّة إذا أُطْلِقَت فالمراد بها ما ثبت عن رسول الله صل الله عليه وآله قطعا، فإن سأن سائل فقال: كيف الجمع بين هذا الخبر وبين ما روى أبو رافع وجماعة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {ألا لا أعرف ما بلّغ أحدكم الحديث من حديثي مما أرمت به أو نهيت عنه، فيقول وهو متكئ على أريكته: هذا القرآن، ما وجدنا فيه إتّبعناه وما لم نجد فيه حاجة فلا حاجة لنا فيه}، قلنا: هذا على وجوه، كل خبر عُلِمَ صحته فلا يَرِد مخالفا للقرآن البتة، لأنه يؤدي إلى تناقض الأدلة، وما كان من الآحاد ينظر، فإن كان في القرآن ما يخالفه ويمكن تأويل الخبر على وفق القرآن يؤول، وإن لم يكن تأويله على وفقه يُرَدْ، لأن بخبر الواحد لا يصح الإعتراض على ما عُلِمَ صحته قطعا، وإن ورد خبر واحد وذلك الحكم ليس في القرآن ذكره ولا في السنة المتواترة فإنه يُقْبَل ويعمل به، ولا يعد ذلك مخالفا للقرآن، لأن الله تعالى قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر : 7]، وكان الصحابة رضي الله عنهم يعملون على ذلك ويقبلونه، وإذا ثبت بالدليل وجوب قبوله ولا شيء من الأصول يخالفه فإنه يكون إبتداءً شرع، فحثّ على العمل به، ويُعَدُّ موافقا للقرآن وإلى هذا أشار رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: {ألا لا أعرفن ما بلغ أحدكم الحديث من حديثي....}، وفي الخبر الأول ورد قوله ما أتاكم مخالفا فيما وجد في القرآن ما يخالف ما يتضمنه الخبر، ولهذا رد مشايخنا رحمهم الله أخبار التشبيه وقبلوا أخبار الشرائع، فعلى هذا ينبغي أن يجري الكلام فيه، وقوله "أريكته" الأريكة السرير في الحجلة وجمعها

الأرائك، ولا تسمى مفردا أريكة، هكذا قاله ثعلب، وقال الأزهري: كل ما إتكئ عليه فهو أريكة، [ثم أتم كلامه رحمه الله عن موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ننقلها هنا لأن بداية كلامه على هذا كان في حديث آخر لم أذكره هنا]

الحديث الثالث عشر:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن أحمد بن علي بن أحمد، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري ببغداد، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الشرقي بِإِصْطَخَرَ، حدثنا محمد بن عمرو الحمصي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، عن عطاء، عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {من حمل من أمتي أربعين حديثا فهو من العلماء}.

قال رحمه الله: معنى هذا الخبر أنه إذا حمل أربعين حديثا في الأحكام وعرف معانيها، يعد من العلماء، فأما إذا روى ولم يعلم معانيها فلا يعتبر عالما، وهذا كما روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {يؤمكم أقرؤكم لكتاب الله} وإنما كان الإقراء في زمانه صلى الله عليه اعلم، لأنهم كانوا لا يجاوزون الآية حتى يعلموا ما فيها، فأما الآن، فربّ قارئ لا يعرف سُنن الصلاة، وإنما كان عالما لأنه ما لم يعلم توحيد الله تعالى وعدله،وصحة نبوته صلى الله عليه، لا يصح أن يحمل أحاديثه، وإذا عرف ذلك وحمل أحاديث الشرع كان من العلماء.

الحديث الرابع عشر:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الأمير أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو قريش محمد بن جمعة الحافظ، أخبرنا يحيى بن سليمان بن نضلة، حدثنا مالك، يعني ابن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {تحاجّ آدم وموسى، فحجّ آدم موسى، قال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته، قال: نعم، قال: أتلومني على أمر قد قدّر علّي قبل أن أخلق} .

قال رحمه الله: قوله فحجّ آدم موسى، أي غلبه بحجته، وتحاجّ أي تخاصم بإيراد الحجة، ومنه قوله تعالى: {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ } [غافر : 47]، وقد روي عن شيخنا أبي علي رحمه الله أنه أنكر هذا الخبر، وذكر أنه إن كان حجة لآدم على موسى فهو حجة لكل عاص ومتمرد، وعورض بالخبر الذي قال صلى الله عليه وآله: {لا تنكح المرأة على عمّتها ولا على خالتها} فقال: الخبر صحيح، فقيل: خبران بإسناد واحد، تصحح أحدهما دون الآخر، فقال: ما

قبلت ذلك لإسناده، ولا رددت هذا لإسناده، ولكن ذلك خبر تضمن حكما وتلقته الأمة بالقبول فقبلته، وهذا خبر خالف الأصول فرددته، ولا يُظن بموسى أنه يواجه آدم عليهما السلام بقوله أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، والله تعالى خلق آدم ليجعله خليفة في الأرض وإن خرج من الجنة، فما فيه من إغواء للناس؛ وتعاطى بعض مشايخنا تأويل الخبر وحمل الغواية على الشدّة وأنك جنبتهم من نعيم الجنة، وقوله قدّر عليّ أي كان معلوما، وهذا مع بُعْدِه تَعَسُّف، ومما يدل على بطلان الخبر، أنه لا يخلوا، إما أن يكون موسى لم يعرف هذه المسألة، أو آدم عليهما السلام، وكلاهما خطأ عظيم أن يكون نبي من أنبياء الله لا يعرف مسألة القدر.

الحديث الخامس عشر:

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن اسحاق النجّار رضي الله عنه، أخبرنا أبو عمر بن حمدان، حدثنا شعيب بن محمد، حدثنا علي بن المنذر، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا يحي بن شُبْرُمَةَ، عن عاصم بن أبي النجود عن زر، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {يخرج من أهلي رجل يوافق إسمه إسمي، وخلقه خلقي، يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا}.

قال رضي الله عنه: الخبر يدل على خروج إمام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ينفذ أمره شرقا وغربا، وليس فيه بيان من الخارج، فزعمت الكيسانية أنه محمد بن الحنفية، وزعموا أنه مقيم بجبال رضوى، وهو المهدي المنتظر، وزعمت المغيرية أن المهدي هو النفس الزكية وأنه المنتظر، وزعمت الواقفية أن المنتظر موسى بن جعفر، وزعمت القطعية أنه إبن الحسن العسكري، والمحكي عن الشافعي أن المهدي هو عيسى بن مريم، وزعم بعضهم أن المنتظر جعفر بن محمد، وزعموا جماعة أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر، ومن الغلاة من يزعم أنه علي بن أبي طالب، وكل ذلك تخليط وتمني لا برهان عليه، وليس بعض الأقاويل أولى من بعض، والذي ذكره الهادي عليه السلام في الأحكام، أنه يخرج في آخر الزمان رجل من أولاد رسول الله صلى الله عليه، يملك الأرض ويملأها عدلا، فأما ما إدعوه من هؤلاء المذكورين، فقد شوهد موتهم عيانا، وعلم قطعًا، وثبت بطلان الرجعة على ما يزعمه الغلاة، فعلم أن ما ادّعوه من الغيبة باطل، وما تدّعيه القطعية فأغرب وأعجب، لأن صاحبهم لم يشاهد مولودا ولا طفلا ولا ناشئا ولا كهلا، على أن الرواية صحت أن الحسن توفي ولا خلف له، وقسمت تركته بين أخيه جعفر وأخته، هكذا ذكر الناصر في كتابه، وكان لقي الحسن وصحبه، ولأنه لا فائدة في الغيبة، فإن كان بها مصلحة فلا بد من إظهاره، وإن لم يتعلق به مصلحة فوجوده وعده سواء، ولأنه إن كان إماما إفترض الله طاعته على الخلق فوجب أن يكون لهم إليه

طريق، فأما حديث عيسى عليه السلام، فإن نزوله في وقت زوال التكليف، لأنه لا يجوز أن ينزل مع بقاء التكليف وهو نبي، ويستحيل أن يعزل عن النبوة.

الحديث السادس عشر:

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي، أخبرنا أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن مهدي ببغداد، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن مخلد بن حفص العطّار ، حدثنا حفص بن عمرو، حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن نفيس، قال: سمعت عمرو بن أبي عمرو مولى المطّلب، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله حين قفل من خيبر: {اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضَلَعِ الدَّيْنِ وغلبة الدّجال}.

قال رضي الله عنه: ضَلَعِ الدَّيْنِ: يعني ثقله، حتى يميل بصاحبه عن الإستواء لثقله، والضَلَعِ: الإعوجاج، ومنه رمح ضَلُوعٌ ضَلِعٌ، وأما الدّجال، فقد روي أنه يخرج في آخر الزمان، ويتّبعه قوم وهم على غير الدين، فهذا القدر مما نجوزه، وإن كان الخبر من الآحاد، ولا يُقطع به، فأما ما عدا ذلك مما يجري مجرى المعجز له فلا نجوزه، وقد روي في صفته أنه أعور ، ويتّبعه اليهود، ويدّعي الربوبية.

الحديث السابع عشر:

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد بن محمد بن اسحاق النجّار رضي الله عنه، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيباني، أخبرنا أبو الوفا مؤمل بن الحسن بن عيسى، حدثنا أبو عبد الله محمد بن اسحاق النحوي ومحمد بن يحيى الذهلي، قالا: حدثنا عبد الرزّاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن أنس، قال: [دخل رسول الله صلى الله عليه وآله، يعني مكة، في عمرة قضاء، وابن رواحة بين يديه، أخذ بغرزه وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ

بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ

قال رضي الله عنه: فائدة الخبر البيان عن دخول رسول الله صول الله عليه وآله مكة بعمرة القضاء، وذلك أنه أحرم بالعمرة عام الحديبية فصدّه المشركون، ثم تصالح مع أبو سفيان وسهيل بن عمرو على أن ينصرف عامه هذا ويعود في العام القابل، وقضى عمرته، فأما قوله: [خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ] فيحتمل قتل المسلمين للكفار لإعزاز

الدين، فإن أفضل أعمال المسلمين الجهاد، ولذلك قال تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ} [النساء : 95] الآية، ويحتمل أن يريد بالقتل القتال، وهو الجهاد والمحاربة، ويحتمل قتل الكافر للمؤمن، وإذا حمل عليه لا بد أن يحمل على تحمل المشاق والصبر على الجهاد، حتى يأتي على نفسه، وإلا فنفس قتل الكافر للمسلم قبيح، بل كفر، ولهذا حمل أصحابنا الشهادة على ما قدمنا من قتل المؤمن لا قتل الكافر، وفي الخبر بيان إباحة إنشاء الشعر وإنشاده، ولذلك قرره صلى الله عليه وآله ولم ينكره.

قال رضي الله عنه: فإن سأل سائل فقال: أليس قد ورد القرآن والسنة بذم الشعر والشعراء في قوله: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : 224]، وقال الله حاكيا عن المشركين أنهم قالوا لنبيه صلى الله عليه وآله: {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطور : 30] منكرا عليهم رادًا لقولهم؟ وروى عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا}، والمروي عن مسروق أنه سئل عن قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ } [لقمان : 6]، قال: الغناء والشعر، وعنه أنه تمثل ببيت فقطعه، فقيل له: لو أتممت، فقال: أكره أن أجد في كتابي بيتًا من شعر، والمروي عن عطاء أن ابليس قال: يا رب اخرجتني من الجنة، فأين بيتي؟ قال: الحمام، قال: فأين مجلسي؟ قال: السوق، قال: ما قرآتي؟ قال: الشعر، ثم قدر روي أنه كان ينشد بين يديه الأشعار ويستشهد بها، فما الجامع بين هذه الأحاديث، وما معنى الآية وخبرها؟، قالوا: وقد نفى الله تعالى صفة الشعر عن القرآن فقال: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ} [الحاقة : 41]، ثم وجدنا آيات توازي الأبيات نحو قوله: {وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} [التوبة : 14]، وقوله: {وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ } [سبأ : 13]، وقوله: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ } [الصف : 13]، وقد نفى الله عن رسوله الشعر بقوله: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس : 69]، ثم روي عنه أبيات من الشعر، فمما روي عنه:

أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سَبيلِ اللَّهِ ما لَقِيتِ

رواه جندب عنه، وروى عنه:

أَنَا النبـــيُّ لا كَذِبْ أَنَـــا ابنُ عبـــدِ المُطَّلِبْ

رواه البر بن عازب، وروي أنه قال يوم الخندق:

اللَّهُمَّ لاَ عَيْـــشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَـــارِ وَالمُهَاجِرَهْ

رواه طاووس، وقال يوم الخندق:

بِاسم الإلـــــهِ وبهِ بديـــــــــنا وَلَو عَبدنا غيـــــره شَقيـــنا

رواه سلمان، فما تأويل ذلك وكيف الكلام فيه؟ وقالوا: وما الفائدة في منعه عن قول الشعر إن كان فضيلة ولم يكن قدحا؟ وإن قلتم إنه منع عن ذلك، فما المانع له؟ وكيف منع عن قوله؟ بيّنوا لنا ذلك على وجه يضتح الكلام.

والجواب: انا نبين الكلام في ذلك أجمع ونوضحه على وجه الإيجاز، فإن في شرحه طول، فأما الأول: فالشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح، فهو بمنزلة الكلام المنثور، ولا فرق بينهما إلا في النُظُم، وكانت مخاطبة العرب تنقسم إلى شعر وخطبة وسجع، وكانوا يتفاخرون بالفصاحة في ذلك ويتحاكمون، فيشهدوا لبعضهم بالتقديم، ولبعضهم بالتأخير، ولبعضهم بالمماثلة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بكلام يخالف جميع كلامهم نظمًا وفصاحةً ومعنى، وتحدّاهم به، وجعل ذلك آية صدقه، فعجزوا عن إيراد آية مثله، مع وفور دواعيهم إلى إبطال أمره وإفاء أمره، وكان يتم ذلك لهم لمعارضته، فعدلوا عن معارضته لمحاربته ومقاتلته، مع ما عليهم فيه من المشقة العظيمة والخطر بالنفس، فعلم بذلك عجزهم، وأنه معجزة له، وقد روي عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتناشدوا الأشعار، وكانوا ينشدون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا ينكر، بل يصغي إليها ويستحسنها، وروي عن الأئمة كثيرا من ذلك على ما سنبيّنه، ففي ذلك ما أخبرنا الحاكم الإمام، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد المقرئ، أخبرنا الحسين بن اسماعيل المحاملي، حدثنا عمر بن محمد بن الحسن التلي، حدثنا أبي، حدثنا سفيان الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله[3]: {إن من الشعر لحكمة}، وبعد، فأي مانع يمنع من تحسين الشعر إذا انتفت عنه وجوه القبح، وتقبيحه إذا وجد فيه وجه من وجوه القبح، من كذب أو مدح من لا يستحقه أو ذم من لا يستحقه، والتشبب بمن لا يجوز ، ونحو ذلك من الوجوه

3 في النسخة [أ] ما هو مكتوب وهو الصواب، وفي النسخة [ب]: قلنا لرسول الله..

المحظورة، فإذًا الشعر منه على ضربين، منه ما هو حسن مباح، ومنه ما هو قبيح محظور، فلا يجب أن تجري كلها على نمط واحد، وفي خبر الإستسقاء أن أعربيا دخل على رسول الله صلى الله عليه وهو يخطب ليشكوا الجذب، وأنشده أبياتا منها:

أتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت أُم الصبي عن الطفل
وليس لنا إلاّ اليك فرارنا وأين فرار الناس إلاّ إلى الرسل

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فمطروا اسبوعا، وجاء الناس يصرخون: الغرق الغرق، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فانجابت السحابة حول المدينة كالاكليل، فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {لله در أبي طالب لو كان حياً لَقَرَّتْ به عيناه}، من ينشدنا قوله؟، فأنشده علي بن أبي طالب عليه السلام أبياتا من القصيدة اللامية التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: لعلك عنيت قوله:

وأبْيَضَ يُسْتَسْقى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ثِمالَ اليَتامى عِصْمَةٌ للأرامِلِ
يَلوذُ بِهِ الهُلاّكُ مِنْ آلِ هاشِم فَهُمْ عِنْدَهُ في رَحْمَة وفَواضِلِ

فقال: أجل، فأنشده أعرابي يمدحه، أولها:

لك الحمد والشكر ممن شكر سقينا بوجه النبي المطر

ومدحه كعب بن زهير بالقصيدة، وأنشده في المسجد، ومنها:

إنَّ الرَسولَ لَسَيفٌ يُستَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسلولُ
أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

وبقصيدته التي منها:

نَبيٌّ أتَانَـــا بَعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ منَ الرسلِ والأوثـــانِ في الأرضِ تعبـــــدُ

قال رحمه الله: ومدحه حسّان بأشعار أنشدها إياه، ورثاه بعده، وكان ينشد مراثيه في المسجد فلا ينكره أحد، والمسجد غاص بالمسلمين، حتى روي أنه أنشد يومًا شعرًا في المسجد فنهاه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فجاء أبي هريرة حتى شهد له أنه كان ينشد في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع، فتركه عمر رضي الله عنه، والمروي عن فاطمة عليها السلام حين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وزارت تربته، أنها قالت:

مـــا ضر من شـــمّ تربة أحمـــد أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليـــا
قل للمغيّـــب تحت أطبـاق الثّرى إن كنت تسمع صرختي وندائيـــا
صبّت عليّ مصـــائب لو أنّهـــا صبّت على الأيّام صرن لياليـــا

وقد رثاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله فيه صلى الله عليه وآله:

أمن بعد تكفيـــن النـــبـــي ودفنه بأثـــوابه آســـى على ميـــت ثـــوى
لقد غـــاب في وقت الظـلام لدفنه عن الناس من هو خير من وطئ الحصى

قال رحمه الله: ومدحه العبّاس بالقافية المشهورة، منها:

وَأَنْتَ لَمَّـــا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ وَضَـــاءَتْ بِنُـــورِكَ الْأُفُـــقُ
فَنَحْنُ فِـــي ذَلِكَ الضِّيَـــــاءِ وَفِي النُّورِ وَسُبِلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

قال رضي الله عنه: ومدائح أبي طالب له كثيرة، وكان ينشدها إياه، وأنشد النابغة الجعدي في مدحه:

أَتَيتُ رَسُولَ اللهِ إذ جاءَ بالهُدى وَيَتلُو كِتـــــاباً كالمجرَّةِ نَيِّـــــرا

وغيرها، ولو ذكرنا من هذا الجنس ما وردت به الرواية لطال، وقد روي عن كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، كثير من الشعر، قال رضي الله عنه، ولأمير المؤمنين عليه السلام فيما رواه السيد الإمام أبو طالب رضي الله عنه بإسناده عنه:

إنِّي رَأَيْتُ وَفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُطَالِبُهُ واستصحب الصَّبْرَ إلاَّ فَازَ بالظَّفَرِ

قال رحمه الله: وله يخاطب جابر بن عبد الله:

لا تَخْضَعَنَّ لِمَخلوقٍ عَلى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَلِكَ وَهنٌ مِنكَ فِي الدينِ
وَاَستَرزِقِ اللهَ مِمّا في خَزائِنِهِ فَإِنَّما الرّزق بَينَ الكافِ وَالنونِ

قال رحمه الله، ولما توفيت فاطمة عليها السلام، أنشأ يقول:

نَفسي عَلى زَفَراتِها مَحبوسَةٌ يا لَيتَها خَرَجَت مَعَ الزَفَراتِ
لا خَيرَ بَعدَكَ في الحَياةِ وَإِنَّما أَبكي مَخافَةَ أَن تَطولَ حَياتي

ولما دفنها أنشأ يقول:

لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ وكلُّ الذي دونَ الفراقِ قليلُ
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ دليلٌ على ألا يدومَ خليلُ

ولما انصرف من دفنها زار رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب فيك لجليل، وإنه قبلك وبعدك لجلل، ثم أنشأ يقول:

إنّي أَجِلُّ ثَرىً حَلَلتَ بِهِ عَن أَن أُرى بِسِواهُ مُكتَئِبا

مـــا غـاضَ دَمعي عِندَ نازِلَةٍ إلّا جَعَلتَـــكَ لِلبُـكـــا سَبَـبـــا

وإذا ذكرتك ســـــامحتك به مني الجفون ففـــاض وانسكبـــــا

قال رحمه الله: وكان الحسن والحسين عليهما السلام ينشدان الأشعار ويمدحان، ويؤخذ منها الجوائز السنية، ومن شعر الحسن عليه السلام:

من كان يبأ بجد فإن جدي الرسول أو كن يبأ بأمٍ فإن أمي البتول

أو كان يبأ بزَوْرٍ فزورنا جبريل

وقد جُمِعَ أشعاره كما جُمِعَ أخباره، ومن شعر الحسين عليه السلام، ومن قصيده:

فإن تكن الأبدان للموت أنشأت فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

قال رحمه الله: ومدح الفرزدق علي بن الحسين عليهما السلام بالميمية المعروفة، لما سئل من هو، فقال:

هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطحـــاءُ وَطأَتَهُ وَالبَيـــــتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هَذا اِبنُ خَيـــرِ عِبـــادِ اللَهِ كُلِّهِمُ هَذا التَقِيُّ النَقِيُّ الطاهِرُ العَلَمُ

إِذا رَأَتهُ قُرَيـــشٌ قـــالَ قائِلُـــها إِلى مَكـــارِمِ هَذا يَنتَـــــهي الكَرَمُ

قال رحمه الله: وله[4]: قال بكربلاء:

خيـــرة الله من الخلق أبي ثم أمـــي فأنا ابن الخيّريـــــن

من له جد كجدي في الورا أو كشيـــخي فأنا ابن القمريـن

فاطم الزهـــــراء أمـــــي وأبي قاصم الكفر ببدر وحُنين

4 أي الحسين بن علي عليه سلام الله

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الإصطخري ببغداد، حدثنا أبو خليفة الجمحي، عن عبد الرحمن، عن عمه، قال: حبس عبد الله بن علي المستهيل بن الكميت، فكتبه له:

لئن نحن خفنا في زمان عدوكم وخفناكم إن البلاء لراكد

فأطلقه.

وبعد أن ذكر حديث [من عَمِلَ بِمَا عَلَمَ، فَتَحَ الله لَهُ مَا لاَ يَعْلَمْ] وشرحه قال رحمه الله: ونعود إلى ما ذكرنا قبل في الشعر، قال: ولزين العابدين عليه السلام الندبة المعروفة، تتضمن النظم والنثر، ورواه سفيان ابن عيينة عن الزهري عنه، وأنشد المنذر بن الجارود أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من شيعته، وشهد معه المشاهد، يمدحه ويمدح الحسن والحسين بقوله:

أبا حسن أنت شمس النهار وهذان في الحادثات القمرْ
وأنت وهذان حتّى الممات بمنزلة السّمع بعد البصر

قال: ولما بويع أمير المؤمنين عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقف خزيمة بن ثابت الأنصاري بين يدي المنبر وقال:

اذا نحن بايعنا عليا فحسبنا أبو حسن مما نخاف الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس انه أطب قريش بالكتاب وبالسنن

وللعبّاس رضي الله عنه يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجرت أنباء السقيفة:

ما كنت أحسب أن الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن

ولما قُتِلَ عمّار بن ياسر في صفين، أنشأ أمير المؤمنين يقول ويرثيه:

أَلا أيُّهَا الدَّهْرُ الذَّيْ هُوَ قَاسْطِي أَرِحْنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَليلِ
أَراكَ بَصِيـــراً بالذَّيـــــــنَ أُحِبُّهُمْ كأنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدليـــــلِ

قال رحمه الله: ودخل دعبل بن علي وإبراهيم بن العباس مجلس الرضـــا عليه الســـلام حين بويع له، فأنشـــده دعبل قصيدة:

مَدارِسُ آياتٍ خَلَت مِن تِلاوَةٍ وَمَنزِلُ وَحيٍ مُوْحِش العَرَصاتِ

وأنشده ابراهيم قصيدته التي أولها:

أزالتْ عزاء القلبِ بعد التجلُّدِ مصـــــــارعُ أولادِ النبيِّ محمدِ

قال رضي الله عنه: ولما احتضر زيد بن علي عليه السلام، قال لإبنه يحيى: ما في نفسك يا بني؟ ، قال: أجاهدهم في الله، إلا أن لا أجد من يُعينني، قال: يا بني نعم، جاهدهم، فوالله انك على الحق وإنهم على الباطل، وأن قتلاك في الجنة وقتلاهم في النار، ثم أنشأ يقول:

أُبنيّ إمّا أهلكنّ فـــلا تكنْ دنِسَ الفِعـــال مُبيَّض الأثوابِ
واحذر مُصاحبة اللئيم فإنّما شَين الكريم فسولة الأصحابِ
ولقد بلوتُ الناس ثم خَبَرتُهم وبلوتُ ما وصلوا من الأسبـــاب
فإذا القرابة لا تُقرّب قاطعاً وإذا المودّة أقرب الأنســـــابِ

قال رضي الله عنه: ولزيد بن علي عليهما السلام:

السيف يعرف عَزْمِي عِنْدَ هَبَّتِهِ والرُّمح بـــي خَبِرٌ والله لـــــي وَزَرُ

إنا لنأمل مـــــــا كانــت أوائلنا مِنْ قَبْلُ تأمُلُه إن ساعد القَدَرُ

وله أيضا:

يقولون: زيدٌ لا يزكـــي بمـــــاله وكيف يزكي المال من هو باذله؟
إذا حال الحولِ لم يَكُن في ديارنا من المـــال إلا رَسْمُه وَ فَوَاضِلُه

وليحيى بن زيد عليهما السلام لما قُتِلَ أبو زيد:

خليـليَّ عنّـي بالمديـــنةِ بلِّغا بني هاشـــمٍ أهل النهى والتجاربِ
فحتى متى مروان يقتل منكم سرّاتكم الدهرَ جمُّ العجـــــائبِ
لكل قتيـل معشر يطلبـــونه وليـــس لزيـد في العراقين طالب

قال رحمه الله: وخرج زيد من عند هشام بن عبد الملك وكان جرى بينهما شيئٌ وحشه، وهو يقول:

من استشعر حب البقاء استدثر الذل الى الفناء

فلما خرج يحيى أنشأ يقول:

يابن زيد أليس قد قال زيد من أحب الحياة عاش ذليلآ
كن كزيد فأنت مهجة زيـد تتخذ في الجنـان ظلآ ظليـلآ

قال رحمه الله: ولما ورد الخبر على ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بقتل أخيه النفس الزكية، وكان يوم عيد الفطر، فنعاه إلى الناس وبكى وأنشأ يقول:

يابا المنازل يا خير الفوارس من يفجع بمثلك في الدنيـــا فقد فجعا
الله يعلم أنـــي لو خشيـتهم وأوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أسلم أخـي أبدا حتى نموت جميـعا أو نعيـــش معـا

وله فيه:

سأبكيكَ بالبيضِ الرقاقِ وبالقنا فإنَّ بهـا ما يُدركُ الطالبُ الوترا
ولسنا كمن يبكـي أخـــــاه بعبرةٍ يُعصرها من جفن مُقلته عصرا
ولكننـــي أشفـــي الفؤادَ بغـــارةٍ وألهبُ فـي قُطريْ كتائبهـــا جمرا

قال رحمه الله: وللقاسم والناصر عليهما السلام أشعاراً كثيرة، وكان الناصر عليه السلام يقول: لو جاز قراءة شعرٍ واحدٍ في الصلاة لكان شعر القاسم عليه السلام، قال رحمه الله: ولأبي الحسن العلوي الحماني:

أصبحت لا أخشى ولا أتقي خلقا ولـــــي فضل هو الفضـل
جدي نبـــي وإمامـــي أبـــي وديـني التوحيـد والعدل

قال رحمه الله: وجاء الكميت إلى الفرزدق وقال: قد قلت قصيدة أريد عرضها عليك، فقال: هات، فأنشد:

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ولاَ لَعِباً أذُو الشَّيـــبِ يَلعَبُ

فقال: طربت لمن ثكلتك أمك؟، فأنشد:

وَلكِن إِلى أهلِ الفَضَـــــائِلِ والنُّهَى وَخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ

فقال الفرزدق: هؤلاء بنو آدم، فقال الكميت:

إلى النَّفَرِ البيضِ الذِيـــــــنَ بِحُبِّهم إلـــى الله فِيـــمـَا نَابَنِـــي أتَقَرَّبُ

فقال الفرزدق: هؤلاء بني هاشم، فقال الكميت:

بَنِـــــي هَـــــــــــاشِمٍ رَهطِ النَّبـــــيِّ فإنَّنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِرَاراً وأغضَبُ

فقال الكميت:

والله لو جُزتهم إلى سواهم لذهب قولك باطلاً

قال رحمه الله: وفي حديث قس بن ساعدة أن النبي صلى الله عليه وآله روى كلامه بسوق عكاظ، فروى ابن عبّاس وأبو هريرة، قالا: قَدِمَ وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه، فقال: هل فيكم من يعرف قس بن ساعدة؟، قالوا: نعم، كنا نعرفه، وإنه هلك، فتأوه رسول الله صلى الله عليه وآله لموته ثم قال: كأني به على جمل أورق بسوق عكاط وهو يخطب الناس يقول:

يا أيها النَّاسِ اجتمِعوا وعوا واتعظوا وانتفعوا، كلٌّ من عاش ماتَ، ومن مات فات، وكلُّ ماهو آتٍ آتٍ، إن مطر ونبات وآيات بعد آيات، بساط مبسوط، ومهاد موضوع، وسقف مرفوع، وشهاب متبوع، ونجوم تغور، وبحار تمور ، وفلك يدور، إنَّ في السَّماءِ لخبرًا وإنَّ في الأرضِ لعِبرًا معاشر إياد، أين ثمود وعاد،أين الآباء والأجداد، أقسم قُسٌّ بالله لا كذبا ولا اثما، لئِن كان في الأرض رِضًا ليَكونَنَّ فيها سخطٌ، وإنَّ لله دينًا هو أحبُّ إليه مِنْ دينكم هذا الذي أنتم عليه، ما لي أرَى النَّاسَ يذهبونَ ولا يرجعونَ أرَضوا بالإقامةِ فأَقاموا أم تُرِكوا فنَاموا، أين القرون الماضية ديارهم خاوية، ثم قال صلى الله عليه وآله: ثمَّ أنشأَ أبياتا لا أحفظها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا حضرت لك المقام والمقال، فقال صلى الله عليه وآله: ما هي؟ فقال أبو بكر: ثم أنشأ يقول، وروي أن أبا بكر قال: ثم أنشأ أبيات شعر لساني ما ينطق بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قله، فإن الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ثم أنشأ يقول:

في الذَّاهبينَ الأوَّليـــنَ مِنَ القرونِ لنا بَصَـــــائِرْ
لمَّا رأيتُ مَوارِدًا للمَوْتِ ليس لها مَصـــــادِرْ
ورأيتُ قومـــي نَحوَهـــا يمضي الأصاغِرُ والأكابِرْ
لَا يَرْجِعُ المَاضـــي إلّـــي ولا منَ البـــاقينَ غَـــابِرْ

أيقنتُ أنِّـــي لا محـالةَ حيثُ صارَ القومُ صـائِرْ

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على وفد إياد فقال: هل وجدت لقيس وصية؟
قالوا: نعم، صحيفة تحت رأسه وفيها:

يا ناعي الموت والأموات في جدثٍ عليـــهم مــن بقايـــا بزهم خرق
دعهم فإن لهم يوما يصاح بهــم كمـــا يـــنبه مــن نومــاته الصعق
حتى يحيّ بحال غيـــر حـالهم خلق مضوا ثم ماذا بعد ذلك لقوا
منهم عــراة ومنهم في ثيـــابهم منها الجديـــد ومنها الأورق الخلق

فقال صلى الله عليه وآله: لقد آمن قس بالبعث، روي أنه قال: أما إنه سيحشر قس يوم القيامة أمة وحده، وذكر أبو عثمان الجاحظ قال: لإيادا إسناداً تعجز عليه جميع البشر، فإن راوي كلامهم رسول الله صلى الله عليه وآله.
أخبرنا الحكام رحمه الله، قال أخبرنا الشـــيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، قال: أنشـــدني القاضي الخليل بن أحمد السجزي، قال أنشدني القاضي أبو طاهر لمحمد بن الحسن الشيباني رحمه الله:

ما يضرُّ البحرَ أمسى زاخرًا إنْ رمى فيه غلامٌ بحَجَرْ

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال أخبرنا الشيخ أبو حامد، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا العبّاس بن محمد، حدثنا جعفر بن عون، قال: سمعت مسعراً يقول:

ومُشَيِّدٌ دارا ليسكنَ دارَه سكن القبورَ وداره لم يسكن

قال رحمه الله: أنشدني الشيخ أبو حامد، أنشدني أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، عن أبيه، لأبي حنيفة رحمه الله:

نُرَقّعُ دُنيَانا بِتمْزيقِ دِيننا فلا دِينُنا يبقَى ولا ما نُرقعُ

قلت: وبعد أن ذكر حديث {إن الله وملائكته يُصلُّون على الصف الأول} وشرحه قال رحمه الله: فائدة الخبر التنبيه على فضل الصف الأول في الجماعة، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها}، فأما الصلاة، ففي الأصل هي الدعاء، وفي الشرع: إسم لأفعال مخصوصة، وإذا استعمل في صفة الله تعالى فهو بمعنى الرحمه، وإذا استعمل في الملائكة والمؤمنين فبمعنى الدعاء والشفاعة، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ} [الأحزاب : 56]، فالمراد به أن الله تعالى أثنى عليه بما هو أهله، وأتم عليه نِعَمُه في الدنيا والدين برحمته، والمراد من الملائكة والمؤمنين الدعاء له وسؤال الرحمة والدرجة.

قال رحمه الله: ونعود إلى ذكر الشعر، قيل لعائشة رضي الله عنها: أكان النبي يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: نعم، من شعر بن رواحة، وربما قال هذا البيت:

ويأتيك من لم تزود بالأخبار[5]

وروي عن الهادي عليه السلام في الأحكام أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعائشة رضي الله عنه:
{أتروين شعر بن غريض اليهودي؟ قالت: لا، فقالت أم سلمة: لكنني أرويه، فقال لها: وكيف؟ قالت:

يَجْزِيكَ أو يُثْني عليك، وإنّ مَن أثنى عليكَ بما فَعَلْتَ فقد جَزى

فقال صلى الله عليه وآله: قال لي جبريل: [يا محمد، من أولاك يداً فكافئه، فإن لم تقدر فاثن عليه]}، وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من يحمي أعراض المؤمنين؟ قال كعب: أنا، وقال ابن رواحة: أنا، وقال حسّان: أنا، فقال: أهجهم، فإنه ستعينك عليهم روح القدس}، وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يتشد عليه الشعر، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل} وقيل لأبي الدرداء: كل الأنصار قال الشعر غيرك، فقال: وأنا أقول:

5 والمشهور بهذا اللفظ: ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ

يُريدُ المَرءُ أَن يُعطى مُناهُ وَيَأبـــــــى اللَهُ إِلّا مــا أَرادَ

يَقولُ المَرءُ فائِدَتي وَمالي وَتَقوى اللَهِ أَفضَلُ ما اِستَفادَ

وعن جابر بن سمرة قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتناشدون وهو جالس يتبسم، وروي أنه صلى الله عليه وآله أمر حسّانا بإجابة قريش، وأمره بالرجوع إلى أبي بكر رضي الله عنه، فإنه أعرف بمعايب القوم، فأما تأويل قوله صلى الله عليه وآله: {ليمتلئ جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتلئ شعرا} يقال: إن المراد به ما هجي رسول الله صلى الله عليه وآله به والمسلمون، وروي عن عائشة، وقيل لها أن أبا هريرة يقول: {لأن يتملئ جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتلئ شعرا}، فقال: رحم الله أبا هريرة، حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره، إن المشركون كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: {لأن يتملئ جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتلئ شعرا بما هجي به رسول الله صلى الله عليه وآله}، وذكر أبو عبيدة أن تأويل الخبر: أن يغلب عليه الشعر حتى يشغله هم غيره من علوم الدين، فقال: والذي يصحح ذلك: أن ما هجي به رسول الله صلى الله عليه وآله قليله وكثيره سواءٌ في التحريم، وها هنا إنما حرم أن يمتلئ به بطنه، ويحتمل أنه أراد به الأشعار المحظورة، فهو عموم أريد به الخصوص، وقد قيل: وقد قيل: ليس المراد بالإمتلاء الكثرة، وإنما المراد أن يشتغل بشعر لا يبيحه الشرع، بل حظره، وأن قليله ككثيره في الحظر ، فإذا ثبت هذا، فجميع ما ورد من النهي في الشرع محمول على شعر يحظره الشرع دون ما يبيحه، وعلى هذا يحمل حديث مسروق في تفسيره {لَهْوَ الْحَدِيثِ}، ولذلك قرنه بالغناء، فأما حديث عطاء فحشو لا يحتج بمثله، وروي عنه في خبره أنه قال [أي إبليس كما تقدم] : ما قرأتي وجميع ذلك مردود ســـواء قاله بالنون أو التاء، فأما ما ذكر في القرآن ما يوازن الشعر ففاسد لوجوه نذكرها ثم نتكلم على ما أورده، فمما يدل على ما ثبت أن جماعة من الشعراء والخطباء في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده إلى يومنا هذا راموا إلى معارضة القرآن واجتهدوا كل الجهد وبذلوا الأموال فعجزوا عن إيراد مثله، فلو كان فيه ما هو شعر وهم شعراء مجيدون مفلقون لقالوا فيه أشعار، وقد قلنا ما يماثله، والمعارضة ببعضه تكفي في إبطال التحدي، فلما لم يقبل أحد ذلك عُلم أنه لا شعر فيه، ومنها: أنه قد ثبت حرص القوم على إبطال أمره ومبادرتهم إلى تكذيبه بكل ما يمكنهم مع فســاده، فلو سمعوه مرة يقرأ {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَــاعِرٍ} [الحاقة : 41] {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّــعْرَ} [يس : 69] وأخرى يقرأ ما يوازي أشعارهم لبادروا إلى عيبه، ولأظهروا مناقضته في كلامه، ولم يروا عن أحد أنه إدعى ذلك عليه طول أيامه، وهم أهل اللسان ومعدن الفصاحة

ونقدة الكلام، فَعُلِمَ أنه ليس فيه ما هو شعر، ومنها أن جميع ما يذكرونه إما هو بيت يقابل بعض آية، أو بعض بيت يقابل آية، ومثل ذلك لا ينكر أن يقع في الكلام ولا يدّعي أنه شعر ولا بالمماثلة بين الكلامين، ونحن لا ننكر ذلك، وإنما ننكر أن يكون آية تامة تقابل بيتاً، فإن القرآن مفصل بالآيات كما أن القصائد مفصلة بالأبيات، ومثل ذلك لا يوجد في القرآن، ومنها أن كل ما يذكرونه لا يصير بيتا مفيدا إلا بزيادة أو نقصان، أو زيادة إعراب أو مد لا يبيحه الشرع، فأما تفصيل الآيات فقد بيّن أهل هذا الشأن أن شيئا من ذلك لا يعد شعرا عن أهل الصنعة، وقالوا بعض ذلك إنما يذكرونه مغالطة، فمن ذلك قوله تعالى: {وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} [التوبة : 14]، زعموا أن بعض الشعراء أدخله في شعره وجعله بيتاً وزعموا أنها تخرج مع الوافر، والجواب أن في الآية قرأتين، منهم من قرأ مؤمنين، من غير إلحاق ألف به، فإما أن يقف بالجزم أو بإشارة إلى الفتح، فلا يكون بوزن بيت، ولا يوجد مثله في أجناس ما ادّعوه أنها منها، ومنهم من ألحق ألفا بالمؤمنين، وقرأ مؤمنينا، فلا يدل على ما قالوا، لأنه يحصل بعض آية بوزن بيت تام، على ما قدما، وقوله {يُخْزِهِمْ} و {عَلَيْهِمْ} إذا قرئ بإشباع الكسرة والضمة في عليهم لا يكون شعرا أصلا، وذلك على قراءة من قرأوا {وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ } لا يكون بيتا أصلا، لأنه لا يوجد ذلك في شيء من أوزان الشعر، قال الشيخ أبو الحسن الأهوازي: الآية يصيّر وزن الكلمة مفاعلتن، ومما أورده قوله تعالى: {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة : 117]، قال أبو الحسن: إنما يكون بيتا من قوله {فَلَمَّا} إلى قوله {كُلِّ}، فيفسد من وجهين، أحدهما أن الكلام ناقص، والثاني أنه بعض آية بوزن بيت تام، كما ذكرنا، فإن أُلْحِقَ به {شَيْءٍ شَهِيدٌ} فسد من وجهين أيضا، أحدهما: أنه يصير عشرة أجزاء، وليس ذلك في أجناس الشعر، والثاني: أنه يحصل بعض آية بوزن بيت تام، ومما أوردوه : قوله تعالى: {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ } [الشعراء : 35]، وذلك فاسد لأنه بعض آية في مقابلة بيت، ومما أوردوه قوله تعالى: {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ } [سبأ : 13]، وذلك لا يصح، لأنه بعض آية يقابل بيتاً، ومما أوردوه {لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ} [سبأ : 30]، وهذا مغالطة منهم، قال أبو الحسن: إنما يكون بيتا إذا حُذِفَ من قوله {لَا تَسْ} ويوصل قوله {يَوْمٍ} بقوله {تَأْخِرُونَ} ويوقف مع ذلك على تأخرون بألف، فيقال تأخرونا، ويجعل مصراعين، وعلى قوله يستقدمون، بألف ويجعل مصرعا آخر وإذا غيّرت هذه التغييرات لا يكون قرآنا، ومما أوردوه: قوله تعالى: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} [الإنسان : 14]، وهذا إنما يكون بيتاً على قراءة من قرأ عليهمي وإنما يكون بيتاً إذا حذف الواو من أوله ويبدأ من قوله دانية، فأما مع حصول الواو فلا يكون بيتاً، وعلى قراءة من قرأ

عليهم لا يكون بيتاً البتة، ومما أوردوه {وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3)} [الشرح : 2 – 3] وهذا فاسد لأنه آية بوزن بعض بيت، وذلك مما لا ننكره، ومما أوردوه قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)} [الماعون : 1 – 2]، وهذه مغالطة، لأنه إنما يكون بيتاً إذا قرئ: فذاك، وزيد في آخره ألفاً، فذاك الذي يدع اليتيما، فأما الآية على هيتها فلا تكون بيتاً البتة، ومما أوردوه قوله تعالى: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} [الصف : 13]، وهذه آية تقابل بعض بيت.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي الحافظ، أخبرنا أبو العبّاس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الخلاّل، وأبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزّار بمصر، قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن يوسف بن صالح الطرايفي، زاذ منير وأبو عقال سلامة مولى محمد بن عزيز الأيلي، حدثنا سلامة بن روح، حدثنا عقيل بن خالد، حدثنا ابن شهاب، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {أكثر أهل الجنة البله} أي أكثر أهلها الكرام، لأن الكريم يتباله، قال الشاعر:

وَإذا الكَريمُ أَتَيتَهُ بِخَديعَةٍ فَوَجَدْتَّهُ فيما أَتَيْتَ يُسارِعُ

واِعلَم بِأَنَّكَ لَا تُخادِع بَاخِلا إِنَّ الكَريمَ بِفِعلِهِ يَتَخادَعُ[6]

قلت: وبعد أن ذكر حديث {لا يدخل الجنة جسدٌ غذّي من حرام} وشرحه قال رحمه الله: ونعود إلى ذكر الشعر ، قال: فأما ما ذكره أن في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو شعر ففاسد لما بيّنا من قبل أنهم لو سمعوه يقرأ {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ } ثم سمعوا منه شعراً لصاحوا عليه بالنقض والتكذيب، ولقالوا هو شاعر، فلما لم يفعلوا مع شدة حرصهم على توهين أمره، عُلِمَ فساد ما قالوا، ولأن ما يعدونه لا يكون بيّنا إلا بزيادة أو نقصان أو تغيير، فيخرج حينئذ من أن يكون كلامه صلى الله عليه وآله، وقد قال بعضهم إن الرجز لا يكون شعراً، ثم كل ما يُورِدُنَه أخبار آحاد لا يعترض بها على كتاب الله، والمشهور من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله، والمتعالم من حاله أنه لم يكن شاعراً، ولأن الشاعر إذا قال بيتاً وقال آخر بيتاً يقاربه أو يماثله يقال عارضه، فلو كان في كلامه ما هو شعر لقالوا له عارضناك ولأدّعوا بطلان تَحَدِّيه، لأنهم كانوا يعتقدون أن القرآن كلامه، ولأنه إذا اتفق أثناء كلامه ما يوافق بعض بيت

6 قال الناسخ: وقوله:

استمطروا من قريش كل منخدع إن الكريم إذا خادعته انخدعا

لا يُعَدُّ ذلك شِـعْراً، ولا قائله شـاعرا، لأن ذلك يوجد في كلام كل متكلم وإن كان كلهم لا يعد شـعراً،فإن قال: ما الفائدة في منعه من قول الشعر وروايته، قلنا: كونه مفسدة له أو لأمته أو لهما، وكونه على خلاف ذلك مصلحة له أو لأمته أو لهما، والله تعالى هو العالم بتفاصيل المصالح، ولهذا أعطى الله تعالى بعضهم آلة الشعر دون بعض، وأعطى بعضهم آلة الصوت دون بعض، وهكذا الأرزاق والأولاد وجميع أسباب الدنيا، ولهذا قال الله تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ } [الشـورى : 27]، ويحتمل أنه منعه من ذلك تأكيداً لنبوته وتحقيقاً لصـحة معجزته، ولهذا منعه من الكتابة، فقال تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} [العنكبوت : 48]، وإذا كان صلى الله عليه نشاء فيما بينهم وهو يسمع فلا يخوض فيه، ثم أتاهم بكتاب على نظم وفصاحة تخالف جميع أجناس كلامهم، وادّعى النبوة وعاب آلهتهم ودينهم وسفّه أحلامهم، وتحدّاهم بذلك، وجعل آية صدقه عجزهم عن معارضته مع وفور دواعيهم إلى معارضته كان أبلغ ذلك في الإعجاز وأظهر في الدلالة، ويحتمل وجها آخر، وهو أن الشعر يدخله الصدق والكذب والحسن والقبيح، وإن كان الشاعر لا يوجد في كلامه إلا الحسن فلا يخلو من أن يكون ذلك مجالاً لأقوال المخالفين، وإتهاماً من المتعنتين، ومغمزاً للطاعنين، فنزهه الله تعالى عن ذلك، بحيث لا مطعن لأحد في شـيء من أحواله ولا في أقواله وأفعاله، ويحتمل وجه آخر، وهو أنه عليه السـلام مع أنه لم يُسمع له شعر قط، كان المخالفون يقولون إنه شاعر، فلو كان معروفا بالشعر لتم عليهم تدابيرهم وتمويههم، فنزهه الله تعالى عن ذلك، فإن قيل: فكيف منع من ذلك؟ قلنا: يحتمل وجوهاً منها: أنه منعه العلم الذي ينظم به الكلام وهي علوم ضرورية تحصل في العبد من فعل الله تعالى، وهي بمنزلة العلم بسائر الحروف والصناعات، والمحفوظ من العلوم والأداب، فإذا منع ذلك، لم يمكنه قول الشـعر ولا إنشـاده، ومنها أنه كان يمكنه ذلك ولكن لم يفعل ولم ينشـد من حيث علم بالعادات والتجارب أنه لو رامه لمنع منه، وهذا كما نقول أن أهل الجنة لا يقدمون على كذب وقبيح مع قدرتهم عليهما لهذا الوجه، وهذا أحد وجوه الإلجاء لأهل الجنة عند مشـايخنا، والوجه الآخر أن يغنيهم بالحسـن عن القبيح، ومنها أن يصرفه عن ذلك بألطافٍ يفعلها تعالى به، فلا ينشئه ولا ينشد، والمعصوم عندنا قد يكون معصوماً بأن ينصـرف عن المعاصـي بألطاف الله تعالى، فلا يمتنع ذلك هاهنا، ومنها أن هذا النوع من العلم إنما يحصـل عند ممارسةٍ ومدارسةٍ، فيجوز أن يكون تعالى صرفه عن ذلك فلم يمارسه، فلم يحصل له ذلك، وكل ذلك جائز، فأما ما رووه عنه صلى الله عليه، فمن ذلك قوله:

أَنَا النبـــــيُّ لا كَذِبْ أَنَـــا ابنُ عبــدِ المُطَّلِبْ

فقد ذكر الأخفش إن ما كان على هذا المثال لا يكون شـعرا، وإن سـلّمنا أنه يكون شـعرا، فليس في الخبر أنه وقف على آخر هاتين الكلمتين، فجائز أنه تكلم بالوصـــل وبين الإعراب، فلا يكون شـــعرا، وإن وقف فهو بعض بيت، ونحن لا ننكر ذلك، وقد روي أنه كان يقول:

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ويَأْتِيْكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ بِالأَخْبَارِ

ويحتمل أنه اتفق ذلك في كلامه من غير قصـد، وبذلك القدر لا يكون شـاعرا، لأن الشـاعر من ينظم كلامه على وجه مخصوص، فأما قوله:

هلْ أَنْتِ إلَّا إصْبَعٌ دَمِيتِ

فيحتمل أنه وقف على الكلمتين بالسـكون، فلا يكون شـعراً، أو اتفق كلامه من غير قصـد على ما قدّمنا، وقد روي [دَمِيتِ] بكسر الميم وسكون الياء وفتح التاء فلا يكون شعراً، وقوله:

الله مولانا ولا مولى لكم

فهذا إنما يكون شـعراً إذا وقف على الميم من قوله [لكم]، فأما إذا وصـل كلامه فلا يكون شـعراً، فعلى هذا يجب أن يعتبر الكلام، قال رحمه الله: أنشدنا الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي بن اسماعيل الميكالي رحمه الله لنفسه:

أخلوا ببثي ولا أشكوا إلى أحد ما قد أصابته مني سطوة الزمن
وأليس الصبر درعا ارتجى فرجا من عند ربٍ كريـمٍ سابغ المنن
فطال ما قد كفاني آخداً بيدي وردّ كيـــد عدوي واهـــي المنن

قال رحمه الله: وأنشدني الحاكم أبو الفضل اسماعيل بن محمد بن الحسن رحمه الله لنفسه:

تمنيـــــت أن تحيا حيـــــاة هنية وأن لا ترى مد الزمـــان بلابلا

رويدك هذى الدار سجن وقلما يمر على المسجون يوم بلا بلا

البلابل وسواس الصدر ، وفي الحديث: {عذاب هذه الأمة في الدنيا البلابل والفتن}

قال رحمه الله: وحدثني الحاكم أبو الفضل، قال: سمع بعض الزهاد رجلا ينشد:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيـــــلا بكى من حب قاتله

فقال: لو كان وصف الدنيا بهذا لكان أحسن بيت، قال: وأنشدنا القاضي أبو الحسن سعد بن منصور لأبي بكر اليوسفي رحمه الله:

وإذا الفتى حُرِمَ الغناء في أهله أدّاه أقتـــار إلى الأقتـــار

وكذلك من منع الحياء إحياؤه ركب القطار وسار في الأقطار

الحديث الثامن عشر:

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد بن محمد بن اسحاق النجّار رحمه الله، حدثنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله البخاري إملاءَ، حدثنا أبو سعيد الهيثم بن أحمد البصري، حدثنا دينار، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {طلب العلم فرضية على كل مسلم}.

قال رحمه الله: وقد روى هذا الخبر أبو حنيفة رحمه الله عن أنس، وكان أبو حنيفة رضي الله عنه لقي جماعة من الصحابة، منهم أنس، وروى عن كل واحد حديثا، وفائدة الخبر وجوب طلب العلم على كل واحد، ولا شبهة أن جميع العلوم لا تجب، وإنما الواجب أصول التوحيد والعدل والنبوات وأصول الشرع، وما عدا ذلك لا يجب على كل واحد، وإنما هو من فروض الكفاية، كدقيق الكلام وفروع الفقه، وقد تعرض الشبهة فيجب حلها على الجميع.

الحديث التاسع عشر:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا أبو عمر محمد بن أحمد بن حمدان، قالا: أخبرنا أبو العبّاس حامد بن محمد بن شعيب، البزّار، حدثنا أبو عمّار الحسين بن

حريث المروزي، حدثنا الفضل بن موسى عن الأعمش، عن أنس بن مالك قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله قوما يعودهم، فإذا إمرأة تنسج بردا لها، وعندها صبي لها فأحيانا تضرب جفنها، وأحيانا تقبل على صبيها، ففعلت ذلك مراراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: {ترون هذه ترحم صبيّها؟، قالوا نعم، قال: الله أرحم بعباده من هذه بصبيّها}.

قال رضي الله عنه: فائدة الخبر أن عيادة المرضى سُنَّة، وأنه صلى الله عليه وآله مع جلالته كان يزور المؤمنين ويعود مرضاهم، وفيه بيان كثرة رحمة الله بعباده، فيوجب أنه لا يعاقب أحداً بغير ذنب، ولا أحداً بذنب غيره، ولا ينقص من ثواب أحدٍ، بل يتفضل عليهم بِنِعَم الدين والدنيا، وأنه لا يُرِيد أن يَعْصوا ليُعَذِّبهم، ولا يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم، ولا يخلق أحداً للنار، ولا يُكَلِّفهم ما لا يطيقون ثم يعذبهم إن لم يفعلوا، لأن جميع ذلك ينافي الرحمة، ومعنى الرحمة هي النعمة، على المحتاج، والنعمة هي منفعة يفعلها بغيره، ويقصد بها الإحسان، فإذا فعل كذلك كان نعمة يجب شكرها، وجميع ذلك خلاف مذهب المُجَبِّرَة القَدَرِيَة.

الحديث العشرون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق النجّار رضي الله عنه، أخبرنا أبو عمر محمد بن أحمد الخيري، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {ما تحابَّ رجلان في الله قط إلا كان أفضلهما أشدهما حُبَّاً لصاحبه}.

قال الحاكم رحمه الله: الخبر يفيد عِظَم موقع الموالاة في الدين وأن من أركان لدين موالات أولياء الله ومعادات أعداء الله، وقد نطق القرآن به في قوله: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } [التوبة : 71] ، وقال تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ } [التوبة : 67]، ولهذا قال أصحابنا لا تجوز موالات الفسّاق والظلمة، وروى سهل بن معاذ الجهني عن أبيه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: {من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله وأنكح في الله فقد استكمل الإيمان}.

الحديث الحادي والعشرون:

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين، حدثنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو الطيب الحسن بن موسى الرقي بأنطاكية،قال: حدثنا عامر بن سيّار ، حدثنا فرات بن السائب، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عاصم ابن ضمرة، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من

كانت فيه أربع خصال بني له بيت في الجنة، من عظم أمر شهادة أن لا إله إلا الله، وإذا أصابته نعمة حمد ربه، وإذا أذنب استغفر، وإذا أصيب بمصيبة استرجع}.[7]

قال رحمه الله: يفيد أصول التوحيد والعدل، فبدأ صلى الله عليه وآله بتعظيم أمر الشهادتين، ولا يصح ذلك إلا مع المعرفة والإعتقاد، وتعظيمها بأن يُوَحد الله ولا يُشَبِّهُهْ بشيء، ويَعْرِفْهُ بصفاته ويعرف أفعاله وما يجوز عليه، ثم ثنى بالعدل، فأضاف النِعَمَ إليه، لأن جميعها منه ، دِيناً ودُنيا، إما لأنه فعله أو أَمَرَ به ومكّن منه وهدى إليه، وأزاح العلة فيه، ثم ثلث بالوعيد، فأضاف الذنب إلى العبد، وبيّن أن دفع البلاء بالإستغفار والتوبة[8]، ثم ختم بذكر البلاء النازل بالعبد من جهة الله تعالى، فإن الواجب الرجوع إلى الله تعالى بالصبر والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، ويعلم بأنه مصلحة له، ويفيد الخبر أن مجرد القول لا يكفي في إستحقاق الجنة ما لم يضم إليه الأعمال، وكل ذلك مذهب أهل العدل، قال رحمه الله: فإن سأل سائل: أليس قد روي عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من قال لا إله إلا الله دخل الجنة}، وعن أبي الدرداء أنه صلى الله عليه وآله قال: {من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنا وإن سرق رغم أنف أبي الدرداء}؛ والجواب: أن هذا خبر واحد فلا يعترض به على ما ثبت بالكتاب والسنن المتواترة من أن الجنة تُنَال بالإيمان والأعمال الصالحة، فقال تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم : 63]، وقال صلى الله عليه: {لا يدخل الجنة قتّات ولا شرطي ولا مدمن خمر}، قال رحمه الله: ولقد أخبرنا الشيخ أبو حامد، أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا أبو نصر التمّار، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد ويونس وحميد، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل عبد الجنة لا يأمن جاره بوائقه}، وذلك من صحة ما قلناه، وإن ثبت الخبر فلا ظاهر له، لأنه لم يدخل الجنة فلا بد من تأويل الخبر، ويحتمل وجوها من التأويل، أولها: ما قاله بعضهم، أنه كان في إبتدأ الإسلام، حيث لم يُشَرِّع الشرائع، فكان إذا أتى بالإقرار مع المعرفة تكفي، وإنما لم يذكر المعرفة لأن القول دونها لا حكم له فكأنه منطوق به، فلمّا شُرِّعت الشرائع كان المؤمن المستحق للجنة من أتى لجميع الواجبات، وثانيا: أنه بعض الخبر، وتمامه ما رُوى زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من قال لا إله إلا الله مُخْلِصاً وجبت له الجنة، قالوا يا رسول الله، فما إخلاصها؟ قال: أن تزجر عن كل ما

7 ذكر هذا الحديث في آخر المجلس الخامس، وتكلم فيه بإيجاز شديد جدا، وأعاده هنا، وسيتكلم عليه بإسهاب قليلا.
8 في النسخة [ب] و [ت] : "وبيّن أن البلاء في بالإستغفار" أو هكذا ظهرت لي الجملة، وهذا لا يستقيم.

حُرّم عليك}، وهذا نص في الباب وصريح أن مجرد القول لا يكفي، وروى علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه أنه قال: {الإيمان والعمل شريكان في قَرَنٍ[9]، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه}، فيُحْتَمل أن راوي الخبر الأول سَمِعَ بَعْضَهُ، فَرَوَى أَو سَمَّعَ الجميع، فَرَوَى البَعْض[10]، وراوي الخبر الثاني روى تمامه، وثالثها: قوله: دخل الجنة، أي في أهل الجنة، فجرى عليه أحكامهم في الدنيا، وذلك تعلق بالقول، ونظيره ما روى أبوهريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {أُمِرتُ أن أُقَاتِلَ الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله}، ورابعها: دخل الجنة يعني كأنه في الجنة من حيث أَمِنَ وإستراح، كما يلحق الكُفَّار من القتل والسبي والتغنم، وما يلحقهم من الهموم والخواطر، وخامسها: إن ذلك فيمن قال ذلك ومات في الحال، قبل وجوب شيء آخر عليه، فيكون من أهل الجنة، لأن الذي وجب عليه القول والمعرفة، وإنما سكت عن المعرفة والشهادة له بالرسالة لما بيّنا أنه لا حكم للقول دونهما فكأنه منطوق، وسادسها: إذا دائما قال ذلك تائبا من جميع ما سلف، وإنما ذكر الإيمان لأن التوبة معه تنفع، ولا تنفع دونه، فأما حديث أبي الدرداء فيبعد أن يصح، وإن ثبت فهو محمول على أنه تاب من السرقة والزنا، قال رحمه الله: ومما روي عن النفس الزكية عليه السلام، أنه لما حمي الوطيس برز وعليه قباطاق، وهو يقول:

قاتل فما بك إن حبست بدومةٍ في ظل غرفتهـــا إذا لم تخلد
إن امرءاً يرضـــى بأهون سعيــه قصرت مروءته إذا لم يزدد

قال رحمه الله: ولمحمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام:

متـــى أرى للعـــدل نـورٌ وقد أسلمني ظلمٌ إلى ظلمِ
أمنيةٌ طـال عداتي بهـا كأننـــي فيـــهـــا أخو حلمِ

9 في قَرَنٍ: أي مقترنانِ متلازمانِ.
10 أي روى بعض ما سمعه، بما أنه سمع بعض الخبر فبديهي أن يرويه كما سمع أي بعض.

الحديث الثاني والعشرون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي الميكالي، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن الحجاج، عن سليمان، أن أبا عمرو الشيباني قال: حدثنا رب هذه الدار، يعني عبد الله بن مسعود، قال: [سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: أي الأعمال أفضل، قال: الصلاة لميقاتها، قلت: ثم أي، قال: ثم برّ الوالدين، قلت: ثم أي، قال: ثم الجهاد في سبيل الله، ثم سكت صلى الله عليه وآله، ولو استزاد لزاد].

قال رحمه الله: الخبر يفيد أن أفضل الأعمال الشرعية الصلاة، إذ لا شبهة أن معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وعدله ومعرفة القيامة، أفضل الأعمال، لأن الشرائع تبنى عليها، وهي الأصل في جميع العلوم، ويفيد أن الصلاة توقّت بأوقات، وهي المكتوبات، ويفيد عظم حال من برّ والديه، وجاهد في سبيل الله، وذلك يكون بالسيف واللسان، قال رحمه الله: فإن سأل سائل فقال: ما قولكم فيما روي أنه لما أُسري به صلى الله عليه وآله فُرِضَ عليه خمسون صلاةً ، فمازال يشير عليه موسى عليه السلام ويتردد هو حتى رُدَّ إلى خمس، والجواب: لا شبهة أن الصلاة فُرِضَت بمكة حين روي أنه صلى الله عليه وآله كان يتوجه إلى بيت المقدس ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، وروي أنه صلى الله عليه قال: أَمَّنِي جبريل عند البيت يومين وبيّن المواقيت، وإنما اختلفوا متى فُرِضَت، فمنهم من قال: فرضت ليلة الإسراء، ومنهم من قال: فُرِضَت قبل ذلك، وهو الصحيح، لأن الإسراء قيل كان في الهجرة بسنة، روي ذلك عن إبن عبّاس، وقيل كان قبل الهجرة بستة أشهر، على ما روي عن السُدِّي، وقيل كان الإسراء ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية عشر من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، ذكر ذلك الواقدي عن رجاله، وكان النبي صلى الله عيله وآله يصلى قبل ذلك بمدة كبيرة، وروي في ذلك أخبار جمّة، فأما ما روي عن إيجاب خمسين صلاة فلا يصح، ولا شبهة أن الخبر فيه موضوع، لأن الصلاة إن كانت المصلحة في فرض خمسين فلا يجوز نسخه، وإن لم تكن فلا يجوز إيجابه، ثم كيف يجوز أن تُغَيَّر شرائع من هو عالم بالمصالح بمساءلة من لا يعلم المصالح، وأنه لا يجو ز أن توجب شيئا فيعترض عليه النبي صلى الله عليه وآله، ولأنه يؤدي إلى نسخ الفعل قبل وقته، وذلك بداء، لأن روي فيه من التردد، ونقصانها حالا بعد حال كالعبث، مع ما فيه من التشبيه المشار إليه، من عَوْدُه إليه تعالى الله عن ذلك، ولأن النبي صلى الله عليه وآله لايجوز أن يسأل ربه تعالى شيئاً إلا بعد إذن من جهته، فكيف

يصح أن يسأل بقول موسى، وكيف يجوز على موسى أن يُشِير عليه بذلك من غير إذن، وهما رسولا الله صلى الله عليهما.

الحديث الثالث والعشرون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق النجّار رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن إبراهيم العدل، حدثنا أبو أحمد محمد بن ياسين بن النصر ، قال: حدثنا أبي، حدثنا يعلى بن عبيد الطنافسي، قال: وأخبرنا أبو سعيد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن هارون بن خالد، حدثنا أبو أمية الطرسوسي، قال: حدثنا يعلى بن عبيد، قال: حدثنا محمد بن اسحاق، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى فقال: {نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أدّاها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب المؤمن، إخلاص العمل، والنصيحة لأُولي الأمر ولزوم الجماعة، فإن دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ}.

قال رضي الله عنه: نصر الله عبداً رواه جماعة بالتخفيف، منهم أبو عبيد، ومعناه الذي له بريق و رقيق من نعمته، يقال ونضره الله فنضره ينضر، ونضر وينضر لغتان، ورواه جماعة بالتشديد، منهم الأصمعي، وأنشد:

نضّر الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

والمعنى واحد، ومنه: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة : 22]، أي ناعمة، وقال ابن شميل: نضّر الله ونضر وأنضر معنى بمعنى، وقال بعضهم: ليس هذا من الحسن في الوجوه وإنما معناه حسّن الله وجهه في خلقه، أي جاهه وقدّره، ونحوه قوله صلى الله عليه وآله: {اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه} يعني ذوي الوجوه في الناس والأقدار، حكي ذلك عن سفيان بن عيينة، وقوله لا يُغِلُّ روي بفتح الياء، وهو من الحقد، تقول لا يدخله حقد يزيله عن الحق، وروي بضم الياء، وهو من الخيانة، والأغلال الخيانة في كل شيء، ومنه لا أغلال ورجل معك خائن، أي لا يدخل قلبه خيانة، وفائدته أشياء، منها: وجوب تحمل العلوم وتبليغها كما سمعها من غير تغيير وتبديل، ولذلك قال: فوعاها، أي حفظها كما سمعها، فمن سبب النقلة وقع أكبر إختلاف الأمة، حيث لم يُبَلِّغوا كما سمعوا، إما عمداً أو سهواً، ومنها: وجوب قبول الأخبار ، لولا ذلك لم يكن للكلام فائدة، ومنها: إيجاب الإخلاص في العمل، وذلك يكون لوجهين: أحدهما: أن يفعل الطاعة لله تقرّبا إليه، ولوجوبها عليه، والثاني: أن لا يحبطها بما يشوبها من الكبائر، لذلك قوله تعالى:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام : 82]، ومنها النصيحة لأولي الأمر، وهم الأئمة ومن قام مقامهم، فيجب طاعتهم، وقد نطق الكتاب بذلك في قوله تعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } [النساء : 59]، فالمخالف لهم فاسق باغٍ، وهم أئمة العدل، دون الظَلَمَة المُتَسَلِّطِين على الناس، ومنها وجوب لزوم الجماعة، وهو ما أجمعت عليه الأمة، فأما ما إختلفوا فيه فلا إعتبار بالكثرة والقلة، بل الواجب إعتبار الأدلة دون تقليد الرجال، وقد روي عن علي عليه السلام: الجماعة من كان على الحق، وإن كان واحداً، فإن قيل: قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إفترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعون في النار، وإفترقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة، فرقة واحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة واحدة في الجنة وإثنتان وسبعون في النار ، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الجماعة}، قال: وروي في بعض الأخبار: {أعظمها فتنة على أمتي أن يقيسوت الأمورَ برأيِهم فيخطئون، فيحلُّونَ الحرامَ ويحرّمونَ الحلالَ}، قال: فما معنى الخبر وإذا كان على طريقة واحدة، فكيف حدثت هذه البدع؟ ومتى حدثت؟ ومن أحدثها؟ قالوا: وقد إعتبر الجماعة، وفي بعض الأخبار: {عليكم بالسواد الأعظم}، فيقتضي أن الحق في الأكبر، قالوا: وبيّن فساد القياس والرأي وأنهما من أعظم الفتنة، وكل ذلك يخالف مذهبكم، والجواب: إن هذا الخبر من الآحاد فلا يمكن القطع على صحته، وبعد، فإن الخبر وُرِدَ مضطربا، فروى عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أن اليهود إفترقت على إحدى وسبعين فرقة، والنصار على إثنتين وسبعين فرقة، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، وروى عبد الله بن عمرو الخبر وفيه: {إفترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار غير واحدة، قيل: من هم؟ قال: ما نحن عليه اليوم وأصحابي}، وروى أبو امامة الحديث وفيه: {تَفَرَّقَتْ بنو إسرائيل سبعين فرقة، واحدة في الجنة وسائرهم في النار، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقةواحدة في الجنة وسائرهم في النار}، وروى قتادة عن أنس الخبر وفيه: أن بني إسرائيل إفترقت على إحدى وسبعين فرقة وستفترق أمتي على إثنين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قال قتادة: هم الجماعة، وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لإبن سلاّم: على كم افترقت بنو إسرائيل؟ قال: على واحدة وسبعين أو اثنين وسبعين، فقال صلى الله عليه وآله: ستفترق أمتي على ما افترقت عليه بنو إسرائيل وستزيد فرقة واحدة لم تكن في بني إسرائيل، وفي بعض الروايات سبع وسبعون فرقة، فالمجمع عليه في النقل أن أمته ستفترق، فأما العدد فقد إختلفوا فيه على ما ذكرنا دل على أن الخبر في العدد غير مضبوط،

وبعد، فلو إعتبرنا أصول المذاهب فإنها لا تبلغ سبعين، وإن إعتبرنا شعبها وفرقها فتزيد عن السبعين بكثير، فإن ثبت الخبر فلا بد من التأويل، ويحمل وجهين، أحدهما: أنه تبلغ فرقهم في وقت ما هذا القدر، ثم إن زاد بعد ذلك لا يضر، وعلى هذا يمكن تصحيح جميع الأعداد، فمرة بلغ إثنين وسبعين ومرة ثلاثا وسبعين ومرة أكثر، وإذا وجد مخبره يوافق خبره مرّة كفى، وما بعده وما قبله مسكوت عنه،و الثاني: أن المراد بالخبر ليس حصر العدد، وإنما المراد ستفترق أمتي على فرق كثيرة، وللعرب عادة في ذكر السبعين والألف، انهم يريدون به الكثرة ولا يريدون حصر العدد، على هذا حمل بعض المفسرين قوله تعالى: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } [التوبة : 80]، أما الجواب عن الباقي فلا شبهة أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه كانوا على طريقة واحدة، لا خلاف بينهم في دياناتهم، وإنما حدثت هذه البدع بعدهم، والمجمع عليه في أصول الدين أنه تعالى واحد لا شبيه له، قادر عالم حي سميع بصير غني، حليم عدل لا يظلم، صادق لا يكذب، وأن الأنبياء حجج الله على خلقه، وأنهم مطهرون، وأن القرآن كلامه تعالى، وهو هذه السور والآيات، فكل مذهب يوافق تفاصيل مذاهبهم هذه الجملة كان حقّاً، وما خالفها وناقضها كان بدعة، وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {عمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة} وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {المستمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد}، فأما متى بدأ حدثت هذه البدع، فأول خلاف وقع إنما وقع في الإمامة يوم السقيفة، ثم الخلافة في أمر عثمان، ثم خلاف أصحاب الجمل، ثم خلاف معاوية وعمرو وأهل الشام، ثم رأي الخوارج، ثم رأي الغلاة والرافضة، ثم رأي المجبرة والمشبهة، ثم مازالوا يزيدون في البدع ويطهرون حتى كثرت البدع وصار الإسلام غريبا، كما قال صلى الله عليه وآله[11]، ومتى قيل: كيف ذهبوا عن الحق مع أنه المطلوب عند كل أحد، فجوابنا: الأسباب الصادّة عن الحق كثيرة، والأغراض فيها لا حصر لها، وجملتها ترجع إلى أمور محصورة، فمنها الشبه التي ضل عندها أكثر الناس، ومنها الإلف والعادة وتقليد الرجال، ومنها طلب الرئاسة والميل إلى الدنيا، ومنها الميل إلى الشبهة في تركه للنظر وإيثار البدعة، ومنها التعمد على ما نبيّنه من كثير من المبتدعة، فأما قوله الإعتبار بالسواد الأعظم فصحيح، ولكن هو الإجماع دون الأكثر، لأنه لو كان المراد الأكثر لكان نظير الحق باطلا والباطل حقّاً بقلة القائلين وكثرتهم، فشيء واحد مرة يكون حقا ومرة يكون باطلا، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان في قلّةٍ من أصحابه وإن كان الحق معه، وقد ورد القرآن بمدح القليل وذم الكثير، ولأن الكثرة لا يعلم صحة قولهم، فأما حديث القياس فقد بيّن في الخبر أنهم الذين يقيسون الأمور برأيهم ولا

[11] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً، فَطُوبى لِلْغُرَبَاءِ"

يتّبعون الأدلة والأمارات، ومن فعل ذلك فهو مبطل وهذا حال كل مبتدع يتّبع رأيه هواه ولا ينظر إلى الأدلة المؤدية إلى الحق، فأما من إعتبر بعض المسائل ببعض على موجب العلل والأدلة فقد أصاب الحق وهدي إلى الرشد، وبعد، فقد دل القرآن والسنة والإجماع على صحة القياس فلا معنى لإنكاره، وسنبيّن من بعد كيفية حدوث البدع ومن أحدثها، ومن قام بنصرتها، ثم نتبع بذكر المذهب الصحيح وما كان عليه السلف.

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: روى السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين عليهم السلام أن قوما تأخروا عن الحسين بن علي الفخي عليه السلام يوم الفخ، فلمّأ فقدهم في المعركة أنشأ يقول:

وإنـــي لأنوي الخيــر سراً وجهرة وأعرف معروفـــــاً وأنكر مُنكرا

ويُعجبنـــي المرء الكريـــم نِجَـــارُه ومن حين أدعوه إلى الخير شمَّرا

يعين على الأمر الجميل وإن يرى فـــواحش لا يصبر عليـها وغيَّرا

الحديث الرابع والعشرون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الواحد أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد البحيري، قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث ببغداد، قال: حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري، قال: حدثني أبي، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: [رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عز وجل].

قال رحمه الله: إن سأل سائل فقال: قد روى جماعة أن النبي صلى الله عليه رأى ربّه وروى جماعة أنه صلى الله عليه وآله قال: { إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته}، وعندكم أنه تعالى بيس بمرئي، فما معنى هذه الأخبار ؟ وهل لها تأويل؟ وكيف القول فيه؟

فالجواب: إذا ثبت أنه تعالى لا تجوز عليه الرؤية بالكتاب في قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام : 103] وأنه تمدّح بنفي الرؤية عن ذاته بقوله لموسى عليه السلام: {لَنْ تَرَانِي} [الأعراف : 143] عامّاً، وثبت بالعقل أنه لو صح أن يُرى لوجب أن يُرى الآن إذ الموانع تستحيل عليه وإلا أدّى إلى الشك في المشاهدات، ولأن كل ما نراه بحاسة لا بد من تعلق بينه وبين الحواس من مقابلة أو حكم مقابلة، وذلك يستحيل عليه، ووردت أخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أصحابه أنه لا تجوز عليه الرؤية، معارضاً لما رَوَيْت، نحو قوله صلى الله عليه وقد سُئِل: أرأيت

ربك؟ فقال: {نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ}، ونحو قول أمير المؤمنين: [لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس] وأمثال ذلك مما يكثر، لا يجوز أن يُعترض على هذه الأدلة الموجبة للعلم بأخبار وردت من طريق الآحاد، لا تُعلم صحتها قطعا، خصوصا في مسألة طريقها العلم لا العمل، فإن ثبت الخبر فلا بد من تأويل، أما حديث أنس فيحتمل وجهين، أحدهما: أراد أنه رأى ربه بقلبه، والمراد به العلم الذي زاد في قلبه، بعدما رأى من ملكوته ليلى أُسْرِيَ به، وروي نحو ذلك عن إبن عبّاس، والخبر إذا ورد مطلقاً ومقيداً حُمِلَ المطلق على المقيّد، وروي عن أنس وأبي هريرة أن محمداً رأى ربه مطلقا، وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عبّاس أنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه بفؤاده مرتين، وروى عكرمة عنه في قوله {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم : 13]، قال أن النبي صلى الله عليه وآله رأى ربّه بقلبه، وروى يزيد بن شريك عن أبي ذر قال: رأى ربه بقلبه، يعني النبي صلى الله عليه وآله، وأول من أنكر الرؤية وذكر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك عائشة، حين سُئِلَتْ هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلتم، من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على ربّه، وتلت: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } [الأنعام : 103] منبهة بالآية على أنه لا يُرى، والوجه الثاني: رأى ربه أي جلائل آياته وعظيم ملكوته، كقوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ } [الفجر : 22]، أي آياته وأمره، كما قال في موضع آخر: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ } [الأنعام : 158]، ثم قال في موضع آخر: {أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ} [النحل : 33]، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وأمثاله تكثر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ} [الأحزاب : 57] يعني أولياء الله، وقال: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ} [النساء : 142] يعني رسوله والمؤمنين، أما قوله {سَتَرَوْنَ ربكم...} فقد روي هذا الخبر عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي زر، ولقيط بن عامر ، وأبي موسى، وجابر، وحذيفة، وأصح الأحاديث عندهم ما رواه قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، وقيس مطعون فيه، لأن قيساً كان خولط في عقله ويروي، فإن ثبت، فمعناه يحمل وجهين: أحدهما: أنه أراد ستعلمون ربكم، والرؤية بمعنى العلم مستعمل في كلام العرب، وقال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ } [الفرقان : 45] وقوله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} [الفجر : 6]، والوجه الثاني: المراد به ترون جلائل آياته وعظيم ملكوته على ما بيّنا في الخبر الأول، وقد روي عن علي بن الحسين زيد العابدين، وقيل له: أرأيت ربك؟ قال: لم أكن لأعبد ما لم أره، فقيل: فكيف رأيته: قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ولا يقال هذا الخبر ورد مورد البشارة لأهل الجنة والعلم حاصل في الحال، وذلك لأن هناك تحصل ضرورة من غير كَلٍّ ولا نظر ، ولا يخالف فيه مخالف، ولا يعترض فيه شبهة، بخلاف ما في الدنيا، ولا يقال إن ذلك يحصل لأهل النار أيضا، لأن المؤمن إذا

عَلِمَ ضرورة أن له ربّاً يديم نعمته يتكامل سروره، والكافر إذا علم ضرورة أن له ربّاً يديم عقابه، يتكامل غمومه، فكان بشارة للمؤمنين، وقوله تُضَامُون رؤي بالراء "تُضَارُون" وبالميم "تُضَامُون"، فأما الرواية بالراء، فروي بالتشديد والتخفيف، قيل معناهما واحد، وقيل أن المخفف هو من الضَيْرِ أي لا يخالف بعضكم بعضاً، فيكذبه، ولا يتنازعون، بخلاف حال الدنيا، أن بعضهم يكذب بعضا وينازع الملحد الموحد، فأما ثَمَّ فإن الخلق كلهم علموا ضرورة أن لهم صانعاً ومُدَبِّراً يديم الثواب والعقاب، يقال ضاره يضيره ويضوره، والتشديد من المضارّه، وهي المضايقة، والضرر الضيق، يعني لا يقول أحد لصاحبه لا أعرفه وأشك فيه كما هو في الدنيا، فأما بالميم فروي مخففاً ومشدداً، أما التشديد فمعناه لا ينضم بعضكم إلى بعض في ذلك، أي لا يرجع إليه لأن الكل سواء في علم الضرورة، وأما التخفيف فمعناه لا ينالكم ضيم في معرفته حتى يعلم بعضكم دون بعض، بل يستوون في ذلك كما يستوي العقلاء في الضروريات في الدنيا، قال رحمه الله: نعود إلى ذكر المذاهب المحدثة، فمنها مذهب الخوارج، حدث عن الحكمين بصفين وأول من أحدثها جماعة أنكروا الحكمين ونادوا ألا الحكم إلا لله، وفارقوا أمير المؤمنين، وكان رئيسهم يومئذ عبد الله بن الكواء، وكان من رؤسائهم أيضا معدان الإيادي، فسمعوه يقول:

سَلامٌ عَلَيكُم مَن بايعَ اللهَ شارِباً وَلَيسَ عَلى الحِزبِ القُعُود سَلامُ

فبرئت الصفرية منه وقالوا: خالفت إذ برئت من القعدة، وأول من بايعوه بإمرة المؤمنين عبد الله بن وهب الراسبي، ثم لأمير بعد أمير، وممن بايعوه قطري بن الفجاءة المازني، وكان نبيلا فيهم، بقي على أمره حتى قُتِل، ولهم ألقاب خمسة، الحرورية، لنزولهم بحروراء، أسماهم بذلك أمير المؤمنين، والخوارج لخروجهم عليه، والمارقة لإجماع الأمة أن قوله صلى الله عليه وآله: {يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية}، ورد فيهم، وقوله {تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين} إنهم المارقة، والمحكمة، لقولهم لا حكم إلا لله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: كلمة حق يراد بها باطل، والشراة، لزعمهم أنهم شروا أنفسهم لله، وفرقهم كثيرة لا تكاد تحصى، وهكذا البدع كلما إزدادوا تفريعا إزدادوا فساداً ومناقضة، ولا فرقة في الأمة أكثر إختلافاً وأكثر فِرَقاً منهم ومن الرافضة، وأصول مذهبهم خمسة، الأزارقة، منسوبون إلى نافع بن الأزرق، وكان شجاعا مقدما في فقه الخوارج، خرج على عبد الملك ثم مات ولم يعقب، والنجدية، ينسبون إلى نجدة بن عامر الحنفي، والإباضية، ينسبون إلى يحيى بن عبد الله الإباضي، والصِفرية، بكسر الصاد، ينسبون إلى زياد بن الأصفر، والبهيسية، ينسبون إلى بهيس، والعدد في الأزارقة والصِفرية، وكان أبو عبيدة

صِفريا، قال أبو حاتم: قرأت عليه شعراً فقلت له: لقطري بن الفجاءة، فغضب وقال: لا أم لك ألا قلت أمير المؤمنين أبو نعامة، قال: وكان يظن أني على مذهبه لأني من سجستان، ثم لك واحد من هؤلاء فرق كبيرة، والذي أحدثوا من المذاهب ويجمعهم: إكفار علي وعثمان ومرتكبي الكبيرة، والخروج على من خالفهم، وإنكار الحكميين والبراءة منهما وممن حكمهما وضي بهما أو صوّب التحكيم، وبينهما إختلاف في القعدة منهم، فأما الأزارقة فترى البراءة من القعدة، وأول من أحدثه نافع والصِفرية لا ترى ذلك، ومن قول قطري بن الفجاءة، وكان من الأزارقة، لأبي خالد القنّاني وكان من القعدة:

أَبا خالِدٍ يا اِنفُر فَلَستَ بِخالِدٍ وَما جَعَلَ الرَحمنُ عُذراً لِقاعِدِ
أَتَزعُمُ أَنَّ الخارِجِيَّ عَلى الهُدى وَأَنتَ مُقيمٌ بَينَ لِصٍّ وَجاحِدِ

وكتب إليه أبو خالد:

لقد زاد الحياة إلي حباً بناتي، إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدي وأن يشربن رنقاً بعد صاف
ولو لا ذاك قد سومت مهري وفي الرحمن للضعفاء كاف

وكان عمران بن حطان من شعراء الخوارج وفصحائهم، وكان على رأس القعدة من الصفرية وفقيههم وخطيبهم وشاعرهم وهو الذي يقول خلاف أبي خالد:

لقد زاد الحياة إلى بغضاً وحباً للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرا العوالي
فمن يك همه الدنيا فإني لها والله رب البيت قال

وأبو بلال هو من مرداس بن أدية، خرج على عبيد الله بن زياد فَقُتِل فرثاه عمران بن حطّان:

يا عين ابكي لمرداس ومصرعه يا رب مرداس اجعلني كمرداس

تركتنـــي هـــائماً أبكـــي لمرزئتي فـــي منزل موحش من بعد إيـــناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما النـــاس بعدك يا مرداس بالناس
إمـــا شربـــت بكـأس دار أولهـــا على القرون فذاقوا جرعة الكـــاس
فكل من لم يذقها شـــارب عجلاً منهـــا بأنفـــاس ورد بعد أنفـــاس

وكان عمران يتنقل في القبائل خوفا من الحجاج، فإذا نزل بقبيلة انتسب بنسب قريب منهم، وفيه يقول من قصيدة لما نزل على روح بن زنباع وعرف فهرب وكتب إليه شعراً:

يوماً يمـــان إذا لاقيـــت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعدنانـــــي
وكنت مستغفراً يوماً لطاغية كنت المقدم في سري وإعلاني
لكن أبت ذاك آيـــات مطهـرة عند الولاية في طه وعمـــران

قوله طاغية قيل: نفس طاغية، وقيل الهاء للمبالغة، كقولهم علاّمه ونسّابه، ونزل على قوم من الازد بسواد الكوفة، فلم يزل فيهم حتى مـــات، وروي أن أول من حكم عروة بن أدية، وأدية جدة له، وقيل أن أول من حكم رجل من محارب يقال له سعيد، ويقال أول رجل حكم بين الصفين رجل من بني شكر كان يحمل على أصحاب معاوية مرّة ومرّة على أصحاب علي، وقتل رجلاً من أصحاب علي ونادى: لا حكم إلا لله، فقتله رجل من همدان، وقيل أول من حكم رجل من بني سعد بن زيد مناة، يقال له الحجاج بن عبد الله، يلقب بالبرك، تلقط بالتحكيم ولم ينشد بها، وهو الذي ضرب معاوية على اليد في الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك أن ابن ملجم والحجاج وعمرو بن بكر التميمي[12] بايعوا أن يقتلوا علياً ومعاوية وعمراً، وتواعدوا الثلاثة، فأما علي فَقُتِل، وأما معاوية فَجُرِح، وأما عمرو فلم يخرج تلك الليلة للصلاة، ولم تختلف الرواية أن أول أجمعوا عليه عبد الله بن وهب الراسبي، أول سيف سُل فيهم سيف عروة بن أدية، قال للأشعث: ما هذه الدنية؟ وما هذا التحكيم؟ أشرط أوثق من شرط الله! ثم شهر عليه السيف، وولى الأشعث، فضرب به عجز البغلة، وكان عروة نجى من حرب النهروان، فأتى به زيادا ومعه مولى له، فسأله عن علي وعثمان، فشهد عليهما بالكفر بعد الأحداث، فأمر به فَقُتِل، ثم سأل مولاه عنه فقال: أطنب أم

12 في النســـخ الثلاثة كلمة لم أفهمها [ذاذاويه أو شيء كهذا] والظاهر أنه يريد عمرو بن بكر التميمي، فهو وبن ملجم والحجاج قد بايعوا أن يقتلوا الثلاثة، عليا ومعاوية وعمرو.

أختصر، فقال: اختصر، ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت بليل قط فراشا، وحاربهم أمير المؤمنين بالنهروان فأصاب ألفاً وثمان مائة،فكان بالكوفة ممن لم يشهد الحرب، ويستر أمره قدر ألفين، وتلا رجل بحضرة أمير المؤمنين قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)} [الكهف : 103 – 104]، فقال: هم أهل حروراء، ولما ضربه ابن ملجم قال: فزت ورب الكعبة، وأتى علي بابن ملجم وقالوا اسمع منه كلاما ولا تأمن الفتك، فقال ما أصنع به وأنشد عليه السلام:

اشدُد حيازيمك للموت فانَّ الموت لاقيكا
ولا تجزعْ من المـــوت اذا حلَّ بواديكـــا

وقال عمران بن حطان[13] في الذين حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنّي أَدينُ بِما دانَ الشَراةُ بِهِ يَومَ النَخيلَةِ عِندَ الجَوسَقِ الخَرِبِ

فقال الحميري يعارضه:

إني أدين بما دان الوصـــــي به يوم الخريبة من قتل المحلينا
ومـا به دان يـــوم النهر دنت به وشـــاركت كفه كفي بصفينـا
تلك الدماء معا يا رب في عنقي ثم اسقني بعدها آمين آمينـا

قال الحاكم رحمه الله: ولبعضهم يرثي عليا عليه السلام:

وكنـــا قبل مهلكه زمـــانـا نرى نجوى رَسُول اللَّهِ فينـــا
قتلتم خير من ركب المطايا وأكرمهم ومن ركب السفينا
ألا أبلغ معـــاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينـــا

13 الثابت أن الشعر للأصم الضبي، وهو قيس بن عبد الله أو ابن عسعس الضبي. وسماه ياقوت قيس بن الأصم.

قال رضي الله عنه: وأنشدني الصاحب رحمه الله:

وما حبي علياً باكتســاب ولكن من فوائد فضل ربي
ولو لم أحو من حبيه شيئاً كفى منه حلاوتــه بقلبـــــي

الحديث الخامس والعشرون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، أخبرنا أبو ظاهر محمد بن الفضل، حدثنا أبو العبّاس أحمد بن محمد الماسرحسي، قال: حدثنا الحسن بن عيسى، قال: حدثنا ابن المبارك، أخبرنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {ألا أن كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل البيته وهو مسؤول عن رعيته، وإمرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولدها وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيّده وهو مسؤول عنه، ألا وكلكم مسؤول عن رعيته}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد وجوب رعاية حق الرعايا على الأئمة والأمراء والقُضاة وكل من يلي أموالهم أو يلي عليهم، وتفيد رعاية حق كل من كان تحت يده أو ملكه، وكذلك كل من أؤتمن على شيء، لذلك ذكر العبد والمرأة، وكان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وآله: {الصلاة وما ملكت آيمانكم} روته عائشة، وهذا تأويل ما سألت عنه من الأخبار الواردة في القدر، قال رضي الله عنه: إن سأل سائل فقال: روى جماعة أخباراً مختلفة في وجوب الإيمان بالقدر وذم القدرية، فما معنى ذلك؟ وكيف يستقيم ذلك على مذهب أهل العدل؟

والجواب: أنا نبيّن أولا معنى القدر ، ثم نبيّن ما يجوز إضافته إلى الله وما لا يجوز، ثم نبيّن كيفية الإيمان بالقدر، ثم نبيّن من القدرية، ثم نذكر الأخبار وما يصح فيها، فهي خمسة فصول نذكرها على طريق الإيجاز.

أما الفصل الأول: فالقدر في اللغة يستعمل على ثلاثة أوجه، أولها بمعنى الخلق، كقوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت : 10]، أي خلق، وثانيها بمعنى الكتابة والدلالة والإعلام، كقوله تعالى: {قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ} [النمل : 57]، وقال الشاعر:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الكتب الأولى التي كان سطر

والثالث بمعنى بيان حال الشيء وما يجيء منه، كما يقال: قدّر الخياط الثوب.

أما الفصل الثاني: إذا أُسْتُعمِل القدر بمعنى الخلق، فجميع أفعاله بقدره، لأنه خلقها ودبّرها وأحدثها، وأفعال العباد ليست بقدره، إذ ليست بخلق له، لأنه تجب وقوعه بحسب قصدهم وأحوالهم، ولأنها لو خلقها لما صح الأمر والنهي والثواب والعقاب، ولأن خلق الكفر قبيح، فلا يجوز عليه تعالى، فأما إذا أُسْتُعْمِلَ بمعنى الكتابة والإعلام، وقد بيّن الله تعالى أفعال العباد بأن كتب جميع ما يكون في اللوح المحفوظ ودلنا على بعضها، جاز أن يقال قدّر أفعال العباد، ويجوز أن يقال قدّر الخير والشر إذا كان من فعله، بمعنى الخلق، وإذا أريد الطاعة والمعصية فبمعنى الكتابة والإعلام، إلا أن إطلاقه يوهم، فالواجب أن يُبَيّن ما يزول معه الإيهام.

أما الفصل الثالث: وجوب الإيمان بالقدر فهو على ضربين، أحدهما: أن كل ما هو فعله من نفع أو ضرر يجب إضافته إليه والرضا به، واعتقاد أنه مصلحة وصلاح لعباده، فهذا مذهب المسلمين، وقد كانت المجوس تثبت أصلين، أحدهما يفعل الخير والآخر الشر، نحو المرض والصحة، الحياة والموت، وإحداث الثمار والنبات وأدهانها بالآفات والحر والبرد وغير ذلك، وليس كذلك المعاصي، لأنها فعل العبد ولا يجب الرضا بها، وثانيها: كل ما في العالم من خير وشر، وطاعة ومعصية، بقدره أي عَلِمَهُ وكَتَبَهُ وبَيَّنَهُ، فهو عالم لم يزل ولا يزال بجميع ذلك، ومن خالف في هذين الفصلين لا إيمان له.

وأما الفصل الرابع: في القدرية، فقد وردت أخبارٌ بذمهم، ولا شبهة أن المراد بذلك مذهب له تعلق بالقدر، وصَحَ أيضاً أن المراد به مذهب باطل، لذلك شبههم بالمجوس، فوجب أن ينظر، فمن قال بمذهب في القدر هذا حاله، فهو المراد بالخبر، وقد بيّن شيوخنا رحمهم الله أنهم المجبرة، حيث أثبتوا المعاصي بقدر الله، كالمشبهة سموا كذلك لمّا شبّهوا الله بخلقه، ولأنهم لهجوا بذكره وأضافوا إليه كل خير وشر، فسموا به، وبيّنوا وجه المضاهاة بينهم وبين المجوس، ان المجوس تقول بأصلين، أحدهما يقدر على الخير ولا يقدر على الشر، والآخر يقدر على الشر ولا يقدر على الخير، وهذا مذهب المجبرة بعينه، ولأن المجوس يجوزون الأمر والنهي بخلاف المقدور، وكذلك المجبرة، قالوا: وإذا ثبت بأدلة الكتاب والعقل أنه تعالى لا يخلق القبائح ولا يريدها، وثبت أن مذهب العدل هو الحق والصدق، وثبت أن القدرية هم المجبرة، وقد بيّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث حذيفة وقد قال: {لُعِنَت القدرية والمرجئة على لسان سبعين

نبياً، قيل: ومن القدرية؟ قال: قوم يفعلون المعاصي ثم يقولون الله قدّرها عليهم، قيل: ومن المرجئة؟ قال: قوم يقولون الإيمان بلا عمل} وفصّل في ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام، في الحديث الطويل عند منصرفه من صفين على ما نذكره.

فأما الفصل الخامس: في ذكر الأخبار، فالعجب من هؤلاء الجهلة أنهم يروون الأخبار ولا يعرفون معانيها، فيوردون ما لهم وما عليهم، ويروون الشيء وضده، فإذا سئلوا عن ذلك قالوا اَمِرُّوهَا كما جاءت، فمنها حديث عمرو بن سعيد، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لن يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومرّه} قالوا: وروى نحوه علي وأبو هريرة، وهذا الخبر من الآحاد فلا يجوز أن يعتمد عليه في أصول الديانات، وكذلك جميع ما يروونه في هذا الباب، وفي سند أكثرها طعن، ورجال لا يُعْرَفُون، فإن ثبت فيحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون المراد بالقدر الخلق والإحداث، والمراد من الخير والشر ما يفعله الله تعالى، من الصحة والسقم، والحياة والموت، والنعم والمحن، والسعة والفقر، والماء والنبات والجوائح والآفات، وما يضر وما ييسر، وكانت المجوس تضيف ما يضر ويؤلم إلى الشيطان، والثنوية إلى الظلمة، والمنجمون والكهنة إلى النجوم، وعبّاد الأوثان إلى أصنامهم، فبيّن صلى الله عليه وآله أن الإيمان لا يصح إلا بالتوحيد، وإضافة جميع ذلك إليه تعالى، وليس المراد الطاعة والمعصية، فإن ذلك فعل العبد، ولذلك يتوجه المدح والذم عليه، والوجه الثاني: المراد بالقدر العلم والكتابة والبيان، فدخل فيه جميع الكائنات على ما قدّمنا، ومنها حديث جابر ، عن النبي صلى الله عليه وآله حاكيا عن الله، أنه قال: {أنا الله لا إله إلا أنا قدّرت الخير والشر}، والخبر يحمل معنيين، أحدهما: قدّرت خلقت، والمراد ما يفعله من المنافع والمضار، على ما بيّنا، والثاني: قدّرت بينت وكتبت وأعلمت، والمراد جميع ما في العالم من أفعاله وأفعال غيره، تنبيهاً أن شيئاً من ذلك لا يخفى عليه، ومنها حديث أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله حاكيا عن ربه: {إني أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير والشر وقدّرته، فطوبى لمن خلقته للخير وخلقت الخير له وأجريت الخير على يديه، أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدّرته، فويل لمن خلقت الشر له وخلقته له وأجريت الشر على يديه}، فالخبر يحتمل معنيين، أحدهما: أن المراد بالخير الجنة وبالشر العذاب والنار، ومعنى الكلام أنه خلق الجنة للمؤمنين المستحقين لها، وخلق جميع الخلق للجنة إلا أن بعضهم عصى فاستحق النار بفعله، وخلق النار للعصاة، وخلق العصاة للطاعة إلا أنهم عصوا فاستحقوا النار، ولما كانت عاقبتهم النار لها خلقوا، ولام العاقبة معروفة في اللغة، وعلى هذا حملنا قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ } [الأعراف : 179]، وقوله "أجريت الخير على يديه" يعني أسباب الجنة

بالألطاف والوعد والوعيد، وقوله "أجريت الشر على يديه" بمعنى خَلَيْتُه واختياره، ومنعته اللطف الذي فعلته بالمؤمنين بما قدّموا من العصيان، وهذا الذي يسميه مشايخنا الخذلان، والوجه الثاني: أن المراد بالخير نِعَم الدنيا وسعة الرزق، فإنه خلق الخلق وقسّم الرزق، فمنهم من ناله بغير كدٍ وتعب، ومنهم من يضيق عليه فلا يصل إلى قوته إلا بكدٍ ومشقة على حسب ما رأى من المصلحة، ومعنى "الخير" خلقت النعيم وقدرته بين عبادي، فطوبى لمن خلقته للسعة وخلقت السعة له، لكون ذلك من مصالحه، وأجريت الخير على يديه فأنفق ذلك على طاعته، وخلقت الضيق والبلايا وقدّرته بين العباد، فويل لمن خلقته للضيق والمحن وخلقت الضيق له إن لم يصبر على ذلك ولم يرضى به، "وأجريت الشر على يديه" أي خلّيته واختياره فأقدم على ما لا يحل له، ومنها ما روى أبو بكر بن أبي شيبة بإسناده عن عبادة بن الوليد، قال: دخلت على عبادة بن الصامت وهو مريض يُرَى فيه الموت، فقلت: يا أبه، أوصني وأتعهد، فقال: إنك لن تجد طعم للإيمان ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشرّه، فقلت له: وكيف أعلم خير القدر وشرّه؟ قال: أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {أول شيء خلق الله القلم، فقال: فجرى تلك الساعة بما هو كائن، فإن مت وأنت على غير هذا دخلت النار}.

قال الحاكم رحمه الله: قال شيخنا أبو علي رحمه الله: معنى هذا الخبر معنىً صحيح، وهو الذي كان يقول به علماء المسلمين في صدر الإسلام، لأن القدر عندهم كان هو الكتاب، والخبر والله تعالى أعلم، عِلم جميع ما يكون فلا يخفى عليه شيء منها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وبيّن لملائكته لمصلحة لهم فيه، فجميع ما يكون الله عالم بأنه سيكون، وما لا يكون عالم بأنه لا يكون، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال رحمه الله: وقد روى هذا المعنى علي بن المديني عن يحيى بن سعيد، قال: قلت له: أتقول أن القدر والعلم والكتاب واحد؟ قال: نعم، فهذا قول السلف، حتى أحدثت المجبرة القول بأن القدر خلق الظلم والكذب وجميع الفواحش، وأنه تعالى أرادها، وأحدثت جماعة أنه رضيها وأحبها، ولا يُعرف ذلك قولا لأحد من السلف ممن يعتد بقوله، ويحمل الخبر وجها آخر، أن المراد بالقدر ما يفعله الله من النعم والمحن والسعة والإقتار، وجميع ذلك فعله تعالى، لم يكن ليخطئه ما أصابه، ولم يكن يصيبه ما أخطأه، وقوله للقلم "اجر" معنا أجرى القلم وكتب، وما ذكره بلفظ الأمر توسع، ومنه حديث عبادة أنه صلى الله عليه وآله كان إذا رأى الهلال يُكَبّر الله ويحمده ويقول: {اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر، وأعوذ بك من شرّ هذا الشهر، ومن شر القدر ومن شر يوم الحشر}، معنى الخبر وجوب الإستعاذة بالله من كل شر يحدث

في الشهر ويوم الحشر، والسؤال عن خير ما فيه، والمراد ما يوجد فيه من أنواع البلايا، وقوله "من شر القدر" حمله شيخنا أبو علي رحمه الله على أن معناه من شر قدرته أن يُفْعَل بعبادك، كالأمراض وغيرها من جهته تعالى، أي كتبت أنه يكون في هذا الشهر ، ويحتمل ما كتبت وعلمت ما يفعله أنت أو غيرك، وسمى البلايا والشدائد في الحشر وغيره شرّا على سبيل التوسع والمجاز، نظير ذلك قوله تعالى: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ} [الإنسان : 11]، ومنها ما روي عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله: {لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر}، وهذا الخبر يحتمل وجوها، أحدها: "لا قدر" أي لا فعل لنا مقدّراً من جهتنا، فإن القوم كما يثبتون المعاصي بقدر الله ينفون ذلك عنا، على هذا حمله القاضي رحمه الله، والثاني: لا قدر أي لا يعلم الله تعالى ما سيكون في العالم وما لا يكون، والثالث: أن لا يخلق شيئاً من المضار والآلام والأجسام المؤذية على ما هو مذهب المجوس والثنوية، ومنه حديث جابرٍ قال: {بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في ملأ من أصحابه، إذ دخل أبو بكر وعمر معهما قيام من الناس قد إرتفعت أصواتهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: ما الذي كنتم تمارون فيه؟ قالوا: تكلم أبو بكر وعمر فاختلفا فاختلفنا بخلافهما، قال: وما ذاك؟ قالوا: في القدر، قال أبو بكر: يُقَدِّر الله الخير ولا يُقَدِّر الشر، وقال عمر: بل يُقَدِّرهما، فَقَبِلَ بعضنا مقالة أبي بكر، وبعضنا مقالة عمر، فقال صلى الله عليه وآله: ألا أقضي بقضاء إسرافيل بين جبريل وميكائيل، فقال بعضهم: أو تكلم فيه جبريل وميكائيل؟ قال: والذي بعثني بالحق إنهما لأَول الخلائق تكلما فيه، فقال جبريل مقالة عمر، وقال ميكائيل مقالة أبو بكر، فتحاكما إلى إسرافيل، فقضى بينهما قضاء هو قضائي، قالوا: فما كان من قضائه يا رسول الله؟ قال: أوجب القدر خيره وشرّه ونفعه وضرّه وحلوه ومرّه، ثم ضرب يده على كتف أبي بكر وقال: يا أبا بكر إن الله تعالى لو لم يشأ أن يُعْصَى ما خلق إبليس، فقال أبو بكر: أستغفر الله كانت مني يا رسول الله هفوة لا أعود إليها.}، وهذا الخبر قد ردّه جماعة من أصحابنا وذكروا أن فيه ما يوجب ضعفه، وطعنوا في سنده، والذي يوضح ذلك أنه لا يُظَن بأبي بكر وعمر وجبريل وميكائيل أن يخفى عليهم مسألة القدر وهو من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا به[14]، ويبيّن ذلك أن هذه القصة كانت بالمدينة، فمع طول صحبة أبي بكر وعمر كيف لم يُعَلِّمهُما رسول الله، وكيف خفي عن جماعة من الصحابة حتى اختلفوا فيه هذا

14 علّق الناسخ رحمه الله [النسخة أ] على هذه النقطة وقال: إن كان جبريل وميكائيل فَمُسَلَّمٌ أنه لا يخفى عليهم وحاشاهم، مع كونهم {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : 6]، وأما عمر وأبو بكر فليسا بمعصومين، وكم من الأحكام قد أخطؤوا فيها كمثل الإمامة وكمثل فدك وغيرها، من سائر الأحاكم العقلية والتقليدية العلمية والعملية، فليسا بمعصومين حتى يبعدوا عن الخطاء.
قلت: وكلام الناسخ صحيح لو كان كلام الحاكم الجشمي مطلقا، لكنه خصصه بطول الصحبة ومكانة مسألة القدر، فكلام الحاكم هو الصواب، وهذا لا يعني عصمة الصحابيان، ولا يعني هذا أن ليست لهم أخطاء، وهذا بشهادة عمر الفاروق رضي الله عنه حيث قال أنها كانت فلتة وقى الله شرها، وغضب السيدة فاطمة عليها السلام من أبو بكر رضي الله عنه في قضية فدك، وهو الذي ذكره الناسخ أيضا، رضي الله عن عمر وأبا بكر وتجاوز عنهما

الإختلاف، ثم عند مخالفينا الخلاف في القدر كفر، فكيف أضافوه إلى ميكائيل وإلى أبي بكر؟ ولعل الرافضة لا تقول في أبي بكر أكثر من ذلك، وبعد، فمثل هذه القصة مع كثرة الناس وظهور هذا البيان بمشهدهم كيف تفرّد بروايته واحد وإثنان، وكان يجب أن يُنقل نقلا عامّاً، وكل ذلك يُبَيِّنُ ضعف الخبر ، وتعاطى بعضهم تأويله على تَعَسُّف فيه، والأقرب عندي إن ثبت، فيه وجهان، وأحدهما أنهما إختلفا في إطلاق إسم الشرّ على ما يُقَدِّره من المضار والآلام والمحن، فمنع أبو بكر ذلك، لأنه وإن كان يؤلم فهو خير للعبد، لما فيه من الأعواض والمصالح، وأجازه عمر، فبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله جواز ذلك، وأنها وإن كانت مصالح فهي شرّ على حسب اعتقاد من تصيبه، كقوله: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ } [طه : 97]، أي على زعمك، والوجه الآخر أن المراد بالقدر الكتابة فكان أبو بكر يقول أنه يُقَدِّر الخير أن يكتبها ويثبتها في اللوح، وعمر كان يقول بل يبيّن الأمرين ويكتب ما يكون من عباده من خير وشر، فأما قوله "لو شاء أن لا يعصى لما خلق إبليس" فأي تعلق لخلق إبليس بمسألة القدر؟ وكيف يحتج به المجبرة؟ وأن عندهم أن إبليس وعدمه سواء، في أن من يخلق فيه الكفر ويريده يكفر، ومن خلق الله فيه الإيمان يؤمن، فأي تأثير لإبليس ولا للرسل ولا للدعاة، فإن ثبت فمعناه لو شاء بأن لا يخلق من يعصيه لما خلق إبليس وهو رأس العُصَاة والدّاعي إلى العصيان، فأشار أنه تعالى كما يخلق من يعلم أنه يؤمن يخلق من يعلم أنه يكفر، وإنما أُتي في الإيمان والكفر من قِبَلِ نفسه لا من قِبَلِ ربه تعالى، ويحتمل لو شاء أن يمنع من المعصية جبراً وقسراً لما خلق إبليس مع علمه بأنه رأس الكفر أو منعه من العصيان، لكن أراد تعالى أن يؤمن باختياره ليستحق الثواب، ومنها حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {القدرية مجوس هذه الأمة، إن مَرِضُوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوا جنائزهم}، وفي حديث جابر قال: {فإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم فإنهم شيعة الدجال} وقد بيّنا أن القدرية هم المجبرة وهم المعنيّون بالخبر، وهم شيعة كل ظالم دجال، فأما أهل العدل فهم شيعة رسول الله صلى الله عليه وأهل بيته، ومنها حديث عمر عن النبي صلى الله عليه وآله: {لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم ولا تبدءوهم بالسلام}، وقد طعن شيخنا أبو علي في هذا الخبر ، وذكر أنه لا يصح، فإن ثبت فالمراد لا تجالسوا المجبرة القدرية إذا خفتم الفتنة على أنفسكم أو المفسدة، ومنها ما رووا {إذا ذُكِرَ القدر فأمسكوا} ومعناه إذا ذكر القدر فامسكوا أن تُضِيفوا المعاصي إليه كما تفعله المُجَبِرة، يوضحه أن في الخبر : {وإذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا} يعني لا تُضِيفُوا إليهم ما لا يليق بهم، {وإذا ذُكِرَ النجوم فأمسكوا} يعني لا تُضِيفُوا إليها الحوادث كما يفعله أهل النجوم، ومنها ما روي {القَدَرُ سِرُّ الله فلا تفتشوا}، وعن علي عليه السلام: {القدر بحر عميق، فلا تَلِجُوه} فالمراد بذلك الكتابة، يعني ما كتبه الله من

الآجال والأرزاق مُفَصَّلاً يجب الإيمان به جُمْلَةً ولا يُفَتِّش عن تفصيله، ويحتمل أنه أراد ما يفعله تعالى، فإنه لا يقف على تفاصيله، ومنها ماَ رُوي أنه تعالى قدّر المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة[15]، ومعناه الكتابة يعني كتبها قبل كونها، وقد بيّن أمير المؤمنين ذلك على وجه لا يبقى معه ريب، فيما أخبرناه الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، قال: حدثنا الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد الدينوري، قال: حدثني أبو منصور عبد الله بن محمد العمركي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن عبد الله بن عبد المؤمن المكي بها في سنة ثلاث وستين وثلاثمئة، قال: وقرأت على أبي العبّاس أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: حدثنا الحضرمي أبو جعفر محمد بن عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسحاق الكندي، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: لما رجع علي عليه السلام من صفين قام إليه شيخ وقد شهد الوقعة فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدرة؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً ولا علونا تَلْعةً إلاَّ بقضاء وقدر، فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي ومسيري، والله ما أرى لي من الأجر شيئاً، فقال علي عليه السلام: بل أعظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ: كيف والقضا والقدر ساقانا؟ قال: لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ولم يأت من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء ولا المسيء أولى بعقاب الإساءة من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وجنود الشيطان وخصماؤء الرحمان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله تعالى أمر تخييراً ونهى تحذيراً وكلف يسيراً، لم يُعْصَ مغلوباً ولم يُطَعْ مُكْرِوهاً ولم يرسل الرسل عبثاً ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، فقال الشيخ: فما القضا والقدر اللذان ما سرنا إلاَّ بهما؟ قال: هو الأمر من الله والحكم، ثم تلا {وقضا ربك ألا تعبدوا إلاَّ إياه} فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول:

---

15 قلت: وهذا العمر للكون خاطئ، وهذا يقبل منهم في زمنه رحمه الله، حيث لم تكن هناك تكنولوجيا، ولم يكن العلم متطور، والعمر المحتمل للكون هو 13.77 مليار سنة، والله أعلم، هذا محتمل عمره، والواجب أن يقال المحتمل هو الرقم الذي ذكرته ونقول بعد هذا ما قاله شيخنا ابن أبي الحديد في هذا الموضع: والحق أنه لا يعلم أحد هذا إلا الله تعالى وحده كما قال سبحانه يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها وقال لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اَللَّهِ . ونقول مع ذلك كما ورد به الكتاب العزيز اِقْتَرَبَتِ اَلسَّاعَةُ وَاقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَأَتى أَمْرُ اَللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ . ولا نعلم كمية الماضي ولا كمية الباقي ولكنا نقول كما أمرنا ونسمع ونطيع كما أدبنا ومن الممكن أن يكون ما بقي قريبا عند الله وغير قريب عندنا كما قال سبحانه إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً . وبالجملة هذا موضع غامض يجب السكوت عنه . (شرح نهج البلاغة ج 10 ص 198)، ووجب أن يقال: قدّر المقادير قبل خلق السموات والأرض، هذا فقط دون ذكر المدة الزمنية التي لا يعلمها إلا هو سبحانه.

أنت الإمــام الذي نرجوا بطاعته يوم الحساب من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنــا فيــه إحسانــا

قال الحاكم الإمام رحمه الله: ونعود إلى ذكر المذاهب المحدثة، فمنها مذهب الغُلاة والمُفَوِضَة، وأول من أحدثها إبن سبأ[16]، فنفاه أمير المؤمنين عن الكوفة، ثم صاروا بعد ذلك فرقاً شتّى، وهم في الأصل على ثلاثة فرق، فرقة زعمت أن الله تعالى ظهر على ما هو عليه، وفرقة زعمت أنه ظهر في صورة البشر، وفرقة مفوضة زعموا أن الأئمة يخلقون ويرزقون ويسمون بأسماء الله، ثم منهم من قال يحتجب الله بالأئمة، ومنهم من يقول يَتَّحِد بهم، ومنهم من قال كل من ظهر على يده معجزة فهو الله، وقال بعضهم أن علياً هو الله، وقال بعضهم كل إمام هو الله، وقال بعضهم محمد رسول علي، ولهم تفريعات كثيرة، وكلهم خارج الملة، وممن أظهر ذلك فارس بن ماهوية فَقُتِل، ومنها مذهب القرامطة، ويَتَسَمَّون بالشيعة والباطنية والمردكية، وأول من أحدثها جماعة من أولاد المجوس في قلوبهم ضغائن للإسلام، يرون زوال دولتهم بالملة العربية وأيسوا من إبطالها باللسان والسنان لما لهم من الحجج البالغة والقوة الغالبة، فاحتالوا في إبطالها من وجه يخفى، فوضعوا هذه المذاهب لمشاورة قوم ذوي قدر كالأفشين وبابك، وبثّوا الدعاة مكيدةً للإسلام، وأول داعٍ لهم عبد الله بن ميمون القداح، وكان ثنويا، فلم يزل ينشر دعوتهم حتى كثروا، ومن مقالتهم أنه لا يوصف الباري، وأنه خلق الأول والأول خلق الثاني ثم الثاني العالم، وزعموا أن النبوة مادّة وأن القرآن كلام محمدٍ، وأنكروا الوحي والمعاد والجنة والنار، وأدعوا أن لكل شيء من الشرائع ظاهراً وباطناً وأن المقصود هو الباطن، وأخبارهم مُدَوَّنَة، وفي الحقيقة هم كُفَّار خارجون عن الملة، ومنها مذهب الرافضة، وسُمُّوا رافصة لتركهم زيد بن علي، والرفض الترك، وروى الهادي عليه السلام في الأحكام عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي: {يظهر في آخر الزمان قوم يُسَمَون الرافضة يرفضون الإسلام}، وعن زيد بن علي عليه السلام: {الرافضة حربي في الدنيا والآخرة}، وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين قال: {العلم بيننا وبين هذه الأمة علي بن أبي طالب، والعلم بيننا وبين غيرنا من الشيعة زيد بن علي عليهم السلام}، وعن جعفر بن محمد عليهم السلام: {كل راية ترفع في غير الزيدية

16 ثبت عند الباحثين وعند بعض المحدثين أن شخصية عبد الله بن سبأ شخصية وهمية خيالية، من نسيج سيف بن عمر التميمي، لم يشارك سيفَ بن عمر أحدٌ من المؤرخين في إثبات دور ابن سبأ في الفتنة، قال المحدث الباحث حسن فرحان المالكي رضي الله عنه وفكّ أسره: وجود ابن سبأ أو عدم وجوده لا يهمنا من قريب ولا من بعيد وإنما يهمنا الإجابة على سؤال وهو: هل هو سبب الفتنة أو أحد أسبابها أم لا؟ فإن كانت الإجابة بـ (نعم) فأين الأسانيد في ذلك من غير طريق سيف الكذاب وإن كان سبب الفتنة هو المال وولاة عثمان كما هو في متواتر الأحاديث والمرويات وإجماع الأمة في القرون الثلاثة الأولى فلا يجوز أن نقر الأكاذيب بدعوى أن هذا (يخدم السنة ضد الشيعة!) فالسنة ليست إلا الصدق والعدل والعلم، وهم يعرفون أن قصة ابن سبأ ليس فيها نصرة للسنة ضد الشيعة وإنما فيها نصرة للطلقاء على السابقين. وهذا هو الصواب.

فهي راية باطلة}، قال شيخنا أبو علي: وأول من أحدث ذلك إبن سبأ، فنفاه أمير المؤمنين عليه السلام[17]، ومذاهبهم فرق كثيرة، خرج أكثرهم عن الملة، كالكيسانية والمغيرية والكاملية والخطابية وغير ذلك، إلا أن أكثرهم بادوا وانقرضوا وبقيت قلة قليلة غمرهم الجهل، ووجه القوم الإمامية القطعية، وفيهم العدد، وسموا بذلك لقطعهم على موت موسى بن جعفر ، ومن أقوالهم أن الإمام يجب أن يعلم أمور الدين والدنيا، ويجوزون له العصمة والمعجزة ويحيلون عليه بمعرفة الشرائع والكتاب، ولا يجوزون خلو زمان منه، وزعموا أنه صلى الله عليه نص على علي بإسمه وعينه حتى إضطروا إلى معرفته، وإن القوم كفروا بإنكاره وأن طريق الإمامة النص، وأن الإمامة عدد محصورون، ويبطلون القياس والإجتهاد وأخبار الآحاد والإجماع، ويرون إمامة المنتظر الغائب، وأول من أحدثها هشام بن الحكم، وقام بنصرتها عيسى الورّاق وغيرهم، ومنها مذهب النجارية، والجبر وإن كانوا ملوك بني أمية أحدثوه، فعندهم ظهر هذا الظهور ، وأحدث الحسين النجار مذاهب شنيعة، قال: قولنا عالم قادر ليس بصفة، لكن معناه ليس بجاهل ولا عاجر، وقال: القرآن متلوا عرض مكتوبا جسم، وقال: الأجسام الأعراض مجمعة، وأنه تعالى بكل مكان لا على جهة الحلول والمجاورة، وأن أفعال العباد خلق لله كسب للعبد، وأن الإستطاعة مع الفعل، وأحدث القول بالبدل، وقال: الثواب والعقاب لا يُستحقّان على الأفعال على الداوم ولكن الله يديمه، إلى غير ذلك من الجهالات، ومنها مذهب النابتة الحشوية المشبهة، وليس لهم في ذلك كلام وجدال، وإنما يأخذون بما يروون من الأخبار مع ما فيه من التناقض، ويَدَّعون جماعة من السلف أنهم منهم وهم براء من قولهم، يقولون بالتشبيه بالجوارح والأعضاء والنزول والصعود وأنه على العرش، ويُبطِلون النظر والجدال في الدين، ويعتمدون التقليد، ويَتَسَمَّون بأهل السنة، وينتسبون إلى الحديث وهم أجهل الناس بمعنى الحديث، ومنهم أحمد بن حنبل والكرابيسي وابن راهويه وداود وبن خزيمة وغيرهم، ومنها مذهب الأشعرية، وكان أبو الحسن بن بشر الأشعري من تلاميذ أبي علي ثم ترك مذهبه وقال بالجبر ولم ينتسب إلى أحد، وأحدث أقوالا لا تُعْقَل، منها إثبات قدماء مع الله وأنه تعالى مسموع مُدْرَك بسائر الحواس، وأن كلامه شيء واحد هو التوراة والإنجيل والقرآن وأن ما يُتْلى ليس بكلام له، وأنه تعالى يرضى الكفر ويحبه، وقال: لو كلّف العاجز كان يحسن، ولو عذّب الأنبياء لَحَسُنَ، وجوّز تكليف ما لا يطاق، وقال بخلق الأفعال وأن الإستطاعة مع الفعل، وأنه لا نعمة لله تعالى على الكُفَّار، وأن شيئاً من القبائح لا يُعلم إلا بالسمع، وأنه تعالى لا يفعل لغرض قط، إلى غير ذلك، وأحيا كثيراً من مذاهب جهم، ومنها مذهب الكرّامية، أحدثه أبو عبد الله محمد بن كرّام أيام

[17] بيّنا بطلان هذا، شيخنا أبو علي عزيز علينا، لكن الحقيقة أعز!

الظاهرية، وكان الرجل مغمورا بالجهل فتبعه أقوام تقليدا، أجمعوا على الجبر والتشبيه وقالوا أن الله جسم وأنه لا يتناهى من خمس جهات ويتناهى من جهة السَّفل،كما هو مذهب الثنوية وأنه نور ، وأنه محل للحوادث وأنه لم يزل خالقاً ورازقاً ومنعماً، ويجوز أن يخرج الله تعالى الكفار من النار، ومن رجالهم بن مهاجر والشورميتي وحيد، وغيرهم، ورجل القوم بن الهيصم، لم يكن فيهم مثله، غير أن الشيخ أبا الحسن علي بن أبي الطيب رحمه الله حدثني أنه كان يذهب إلى تَكَافُئ الأدلة، وكان لا يعتقد مذهب القوم، ثم هم فرق كالرزينية والحيدية والنوتية والهيصمية، وهكذا حال البدع تبدوا قليلا ثم تزيد على مرور الأيام.

قال رحمه الله: أنشدني الحاكم الإمام أبو الفضل، قال: أنشدني إبن الهيصم لنفسه وسمع قول الشاعر:

الشوق شوق ولكن من فظاعته وشدة الإبتلاء بالشـــوق عنه كنـــوا
ساقوا الجمال وســاقوني فقلت ألا ليت الذين يسوقون الجمال ونوا
أم ليـتهم بدّلــوا شوقا بســوقهم فيعرفـــوا أيمـــا ذنب عليّ جنــوا

قال رحمه الله: وأنشدنا لغيره:

إني لأعجب من قوم أودّعهم فيستطيعون للتوديـــــع بسط يد
هلاّ يكونون مثلي في فراقهم يد على القلب والأخرى على الكبد

قال رضي الله عنه: وأنشدنا القاضي منصور الهروي:

أحبتــي قلبـــــي لبعدكم ممـــا يسر بقربه حلو
لم يبق لي بعــد إرتحــالكم أنسٌ ولا طرب ولا لهو
فالعيش مرٌّ في فراقكم والعيش تراجعتم حلو

قال رحمه الله: وأنشدني وقال هو من محاسن الشعر:

إربع على الربع تبكي أيها الرجل واستوقف الربع كما يسائل الطبل

واستخبر الدار عمن ساكنها أي المنـازل من بعد النوى نزلـوا

لـو كنت أعلم أن الحب في بلدٍ لكان يُثنـي إليـه الركب والإبـل

فإن عهدي بها والدهر يجمعنا والوصـل متصل والشمل مشتمل

إن الليـالي التي أبكيتني أسفاً هي الليـالي التي كـانت لنـا دول

قال الحاكم أبو الفضل: ولو قال: مثل الليالي لكان أحسن، قال رحمه الله: وأنشدنا أبو عبد الرحمن النيلي لنفسه:

ولي جسد طواه السقم طيّا ودون سلوه عنك الثريـا

ولو أن الأشعري رآه يومـا لسمّى بعده المعدوم شيئا

الحديث السادس والعشرون:

قال رحمه الله: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد القزويني، حدثنا سليمان بن يحيى المُضَري، قال: حدثنا محمد بن عمان العبسي، حدثنا علي بن سالم النوباني، قال: حدّثنا أبو عبيدة الحدّاد، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن حميد، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن البيت إذ قرئ فيه القرآن حضرته الملائكة وتنكبت عنه الشياطين، وكثر خيره وقلّ شرّه}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد عِظَمَ حال قراءة القرآن وما يؤدي إليه من الخير ديناً ودنيا، ويفيد أن القرآن كلام الله هو هذا المتلو المكتوب التي هي السور والآيات بلغة العرب ليصح أن يقرأ، فيوجب حَدَثَه لاستحالة صفة القِدَمْ، قال رحمه الله: فإن سأل سائل: أليس روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {القرآن كلام الله، ومن قال غير مخلوق فهو كافر }، وروي ذلك عن جماعة من السلف، وذلك ينفي حدثه، فما تأويله؟ والجواب: إنا نبيّن قولنا في القرآن وما يزعمه مخالفونا، ثم نبيّن معنى الأخبار في ذلك، فنقول: القرآن كلام الله تعالى، وهو هذه السور والآيات بلغة العرب، أنزلها على نبيّه صلى الله عليه وآله، وصار مكتوبا في المصاحف متلوا في المحاريب، أحدثه الله قي محل يُسْمَعُ منه فكان هو المتكلم به وكلامه المسموع، كما أن الواحد منا يحدث كلامه في لسانه فيكون هو المتكلم به واللسان محل الكلام[18]، وكما أحدث كلامه مع موسى في الشجرة على ما نصّ عليه، والكلام المعقول هو الحروف المنظومة،

18 يمكن أن يُقال: كما أن الواحد منّا يحدث كلامه في الهاتف فيكون هو المتكلم به والهاتف محل الكلام.

فأما يا يزعمه مخالفينا بأنه صفة في ذاته ليست بحروف ولا مسموع ولا متلو فذاك مما لا يعقل، ومن قال بأن القرآن هو هذه الحروف والسور وهو قديم فهو أشد تناقضا، لأن كل ما فيه علامات الحدث، ثم اختلفوا، هل يوصف بأنه مخلوق، فمنهم من قال: لا يوصف لأن فيه إيهام، ومنهم من قال يوصف، وهو الصحيح، والمراد أنه أحدثه مُقَدَّرا كما شاء، وقد عُلِم من دين الرسول صلى الله عليه وآله أن هذه السور هي القرآن، وأنه كلامه تعالى، وعليه كان السلف الصالح، حتى ظهرت البدع، وكان الكفار يقولون إن هذه السور ليست بكلام الله تعالى، فقد وافقوهم، ومن أنه زعم أنه ليس بصدق فقد وافقهم وخرج عن الملة، فأما الآثار فيه، فمنها ما روي عن نافع، قال: قلت لابن عمر : هل سمعت من رسول الله صل الله عليه وآله في القرآن شيئاً؟ قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {القرآن كلام الله، نور من نور الله} ولقد أقر أصحاب التوراة أنه كلام الله، وأقر أصحاب الإنجيل أنه كلام الله، فمن خالف هذا فقد خالف ما أنزل الله، وهذا الخبر يعنيه مذهب أهل العدل، فكيف يحتجون به عليهم، ويدل أن القرآن غير الله، لذلك قال نور من نور ، يعني يهتدي به الخلق في دينهم كما يهتدوا بأنواره في الدنيا، ومنها ما رووا عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبيد، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {إذا ذُكِر القرآن فقولوا كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر}، معناه أنه من قال ليس بكلام الله وإنه كلام بشر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كاذب في إضافته إلى الله فهو كافر،وهكذا نقول وعلى هذا يُحمل ما روي عن أصحاب النبي صل الله عليه وآله: "من قال القرآن مخلوق فهو كافر"، ومنها ما روو عن عن جابر قال: كان رسول الله لى الله عليه وآله يعرض نفسه على الناس بالموقف ويقول: إن قريشا منعوني أن أُبَلِّغ كلام ربي، ومعناه منعوني أن تبليغ هذا القرآن وما يجوز أن يبلغه يكون غير الله، فهو عين مذهب العدل[19]، والذي يبيّن صحة ما قلنا ما رووا عن أبي بكر، قال: لمّا نزل قوله تعالى: {الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2)} [الروم : 1 – 2] خرج بها أبو بكر إلى المشكرين، فقالوا: هذا من كلام صاحبك، فيقول أبو بكر: الله أنزل هذا، وهذا يصحح ما قلنا، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: {ما خلق الله من سماء ولا أرض أفضل من آية الكرسي} ونحو ذلك كثير.

قال رحمه الله: ونعود إلى ذكر المذاهب، وإذ قد بيّنا المذاهب المحدثة والبدع المولدة، بقي ما كان عليه النبي صلى الله عليه واصحابه وعلماء أهل البيت، وهو القول بتوحيد الله ونفي التشبيه، والقول بعدله وبرائته من كل سوء، والقول

19 قلت: ما ذكره في تأويل هذه الأخبار - أي اخبار التي تقول أن القرآن غير مخلوق - كلام فيه تكلف، الأخبار واضحة وضوح الشمس أنها موضوعة، فمثل هذه المسائل لم تناقش وتطرح في زمنه عليه السلام أصلا، فكل هذه الأخبار تُرد.

بعصمة أنبيائه وصدق ما جاءوا به على ما نطق به الكتاب، ومشائخ أهل العدل أخذوها من علماء آل البيت، أخذها واصل عن محمد بن الحنفية وإبنه أبي هاشم، وكان مع ذلك من أصحاب النفس الزكية، وكان عمرو بن عبيد تأهب للخروج مع زيد بن علي عليهما السلام فورد الخبر بقتله، وكان نظر الورّاق وبشير الرحّال من أصحاب إبراهيم بن عبد الله، وكان حكم المعتزلي من أصحاب عيسى بن زيد، والروايات بذلك عن علماء أهل البيت ظاهرة، وكتب القاسم ويحيى والناصر والمهدي وأحمد بن عيسى وغيرهم من أئمتهم مشحونة بذكر العدل والتوحيد، وروي أن أبا الخطّاب وجماعة دخلوا على زيد بن علي عليهما السلام، فسألوه عن مذهبه فقال: إني أبرأ إلى الله من المشبهة الذين شبّهوا الله بخلقه، ومن المجبّرة الذين حمّلوا ذنوبهم على الله، ومن المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله، ومن المارقة الذين كفّروا أمير المؤمنين، ومن الرافضة الذين كفّروا أبا بكرٍ وعمر، وهذا عين مذهب أهل العدل، وكان إمام أهل هذه الطائفة بعد أمير المؤمنين والحسن والحسين ومحمد بن علي وعلي بن الحسين زيد بن علي عليهم السلام، وجميع أولاد أمير المؤمنين إلا أن زيد تقدّمهم بالفضل والعلم والجهاد في سبيل الله، وروي أنه لما ولد سنة خمس وسبعين بشر به علي بن الحسين، فأخذ المصحف وفتحه فنظر فيه فخرج أول السطر {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } [التوبة : 111] وفتح الثانية فخرج {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ } [آل عمران : 169]، فطبقه ثم فتحه فخرج {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ} [النساء : 95]، فأطبقه وقال: عُزّيت هذا المولود وإنه لمن الشهداء، وعن خالد بن صفوان: إنتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم لزيد بن علي، رأيته عند هشام يخاطبه وقد تضايق به مجلسه، وفي كتاب القاضي أبي بكر محمد بن عمر الذي رواه أبو سعد السمّان بإسناده عن زاذان عن أمير المؤمنين قال: الشهيد من ذرّتي والقائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان، إمام المجاهدين وقائد الغرّ المحجلين، بأبي هو وأصحابه، يوم القيامة تتلقاهم الملائكة المقرّبون ينادونهم أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، وبإسناده عن الباقر وأشار إلى زيد: هذا سيد بني هاشم، إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا استنصركم فانصروه، وبإسناده عن خليفة بن حسّان: سمعت زيداً يقول: اللهم إن هشاماً وأهل بيته طغوا في البلاد وأظهروا فيها الفساد، فصب عليهم يا رب سوط عذاب، اللهم فإنك لهم بالمرصاد، فأرح منهم العباد وطهّر منهم البلاد، واجعلهم نكالا للحاضر والباد، وعن الباقر ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للحسين: {يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يوم القيامة، غُرّاً محجلين يوم القيامة، إلى أن يدخلوا الجنة}، وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله: {يُقْتَل من ولدي رجل يدعى زيد بموضع يعرف بالكناسة، يدعوا

إلى الحق ، يتبّعه كل مؤمن}، وعن محمد بن زيد قال: بعث أبو حنيفة رحمه الله إلى زيد بمال وقال: استعن به على ما أنت فيه، وعن فضل بن الزبير قال: كنت رسول زيد بن علي إلى أبي حنيفة، فسألني من يأتيه من الفقهاء؟ فقلت: سلمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، هارون بن أبي سعيد، وأبو هاشم الرمّاني، وحجاج بن دينار ، وغيرهم كثير، وعن شعبة قال: سمعت الأعمش يقول: حين خرج زيد بن علي والله لولا ضرارة بي لخرجت، والله ليخذله والله ليسلمنّه، كما فعلوا بجدّه وعمّه، وعن عقبة بن اسحاق السلمي قال: كان منصور بن المعتمر يدور على الناس يأخذ البيعة لزيد بن علي، وعن ليث قال: جاءنا منصور يدعونا إلى الخروج مع زيد بن علي، وعن حمّاد بن زيد وذكر سفيان الثوري فقال: ذاك كان زيديا، وعن أبي معاوية وذكر عنده سفيان فقال: نحن أعرف بهذا منكم، كان سفيان من هذه الشيعة، وكان منصور يأخذ البيعة ليزيد بن علي، وروي السيد أبو طالب بإسناده عن أبي عوانة قال: كان سفيان زيديا، وكان إذا ذكر عنده زيد بن علي يقول: بذل مهجته لرب، وقد قام بالحق لمخالفه ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه، وقال أبو عوانة قال: كان زيد بن علي يرى الحياة غراما، وكان ضجرا بالحياة، وعن الواقدي قال: كان سفيان زيديا، وعن النضر بن حميد الكندي قال: شهدت سعد بن إبراهيم بالمدينة حين نعي إليه زيد فبكى وأشتد حزنه واشتد جزعه وتخلف في منزله يعزا به، ثم خرج بعد سبعة أيام، فسمعته يقول: ما حلّف مثله، وعن الصادق: رحم الله زيداً، خرج على ما خرج عليه آباؤه، وددت أني أستطعت أن أصنع كما صنع عمي، فأكون مثل من قُتِل مع زيد كمن قُتِل مع الحسين بن علي، وعن جابر : سألت محمد بن علي عن زيد فقال: سألتني عن رجل ملئ قلبه إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدمه، وهو سيد أهل البيت، قال رحمه الله: ولما بويع زيد بن علي تخلّف جماعة عنه، فممن تخلّف عنه كميت الشاعر، ثم ندم فقال:

دَعَانِي ابنُ النَّبِيّ فَلَم أُجِبهُ أَلَهَفِي لَهفَ لِلرَأي الغَبِينِ
فَيا نَدَمَاً غَداةَ تَرَكتُ زَيـدَاً وَرائي لابنِ آمِنَةَ الأَميـــنِ

قال رحمه الله: وأنشدني السيد أبو طالب، قال: أنشدني الصاحب كافي الكفاة القصيدة القافية يرثي زيداً فيها:

لم يشفهم قتله حتى تعاوره قتل وصلب وإحراق وتغريق

الحديث السابع والعشرون:

قال: أخبرنا الحاكم الإمام رحم الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا أبو حامد أحمد بن سهل الأنصاري، حدثنا محمد بن جمعة بن خلف، قال: حدثنا أبو كرنب، حدثنا وكيع، عن مالك بن مغول، عن أبي بريدة، عن أبيه، قال: {سمع رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا يقول: اللهم إني أسألك بإسمك الأعز الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: لقد سأل الله بإسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب}، قال رضي الله عنه: الخبر يفيد فضيلة القول بالتوحيد، وأن من دعا ربه ينبغي أن يقدم الثناء عليه بذكر توحيده وعدله، وقد نطق الكتاب بمثل ذلك في قوله: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران : 191]، فبدأ بذكر التوحيد والعدل، ثم عقبه بالدعاء ليكون أقرب إلى الإجابة وأسرع في القبول، وكذلك في قصة يونس، {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء : 87]، فينبغي للعبد إذا أراد الدعاء أن يبدأ فيصفه بصفاته العُلَى ويسمّيه بأسمائه الحسنى، ويمجده بتنزيهه عن التشبيه والبراءة من كل سوء وقبيح ثم يدعوا، قال رحمه الله: فإن سأل سائل: كيف يصح ما قلتم وقد روي أخبار كثيرة في التشبيه وإثبات الأعضاء ونطق القرآن ببعضه، فمنها الوجه ومنها العين ومنها اليد ومنها القَدَم ومنها الصورة ومنها الضحك ومنها الفرح ومنها النزول والهبوط، الجواب: إنا نبيّن كيفية الخلاف في الأعضاء ثم نتبع بذكر معاني الأخبار وما يصح منها وما لا يصح، فنقول: إختلف الناس فيها، فمنهم من أثبت لله تعالى أعضاء معقولة وجعله جسما محدوداً ذا أعضاء وجوارح، وأثبته في مكان مخصوص، وهو مذهب المشبهة، ومنهم من يثبت هذه الأعضاء ويذكر أن لكل واحد منها صفة له وليست بعضو وجارحة، وهو مذهب الكُلاّبية، ومنهم من قال يجري على ظاهره ولا يفسر وهو مذهب كثير من النابتة، والقول الرابع ما يقوله مشايخنا، أنه يُأول على وجه يوافق التوحيد ويروون ذلك عن السلف، وإذا ثبت بالعقل والكتاب أنه تعالى ليس بجسم ولا يشبه شيئاً من الأجسام يبطل قول من يثبت الأعضاء، وإذا كان إثبات صفةٍ يستحيل إلى ما يؤدي إلى الجهالات، وإن العرب لا تُعبّر عن الصفات بالأعضاء بَطُلَ قول الكُلاّبية لفظاً ومعنى، وإذا ثبت أنه لا يجوز أن يَرِد الشرع بخطاب لا يعقل معناه لأنه عبث بَطُلَ قول النابتة، فلا بد في كل آية من تأويل، وفي كل خبر يحتمل التأويل، فإن ورد خبر لا يحتمل تأويلا علمنا أنه لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأول ما أثبتوا له: الوجه، قالوا: وقد قال تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن : 27]، وروو عن جابر بن عبد الله، أن

النبي صلى الله عليه وآله قال: {لا يُسأَل بوجه الله إلا الجنة}، وعن إبن عبّاس، عن النبي صلى الله عليه وآله: {من إستعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فاعطوه}، وغير ذلك من الأخبار، الجواب: إن أصل الوجه في كلام العرب مُسْتَقْبل كل شيء، ثم يُستعمل على وجوه، أولها: يراد به الجارحة المعروفة، ومنه قوله تعالى: {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ } [المائدة : 6]، والثاني: يراد نفس الشيء، يقال هذا وجه الرأي ووجه الصواب، ويقولون كرّم الله وجهك، أي أكرمك، وثالثها: يراد أفضل الشيء وخيره، يقال هذا وجه القوم، ورابعها: أول الشيء، ومنه وجه النهار، أي أوله، وخامسها: بمعنى الجاه والقدر، يُقال: لفلان وجه في الناس، ومنه حديث عائشة: {كان لعلي وجه في الناس حياة فاطمة} أي جاه افتقدها بعدها، وسادسها: النحو، ولا يعقل له في اللغة معنى سوى ذلك، فمعنى قوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن : 27] أي يبقى هو، ومعنى قوله: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } [القصص : 88] إلا هو، يوضحه أن على زعمهم وتعلّقهم بالظاهر يوجب أن يفنى سائره ويبقى وجهه، أو تبقى صفة له فقط، ومعنى الخبر أن يسأل بالله تعالى فيعطى لأجله ورضاه وأمره، وقال رحمه الله: ومن المعروفين بالتشبيه هشام بن الحكم، حكى ذلك عنه النوبختي في الآراء والديانات وغيره ممن صنف في المقالات، وحكى أنه سبعة أشبار، وحكى أن القديم على هيئة السبيكة، قال الحسن بن موسى النوبختي: سمعت رئيساً من رؤساء الثنوية يقول: ما أقل ما بيننا وبين هشام بن الحكم من الخلاف، وهو يقول أن الله جسم، ونحن نقول ذلك، وهو يقول يتحرك، ونحن نقول ذلك، وخو يقول نور، ونحن نقول ذلك، قال الحسن: فنعوذ بالله من قول يؤدي إلى هذا أو يقاربه، وحكى أبو جعفر القُمي في كتاب نوادر الحكمة عن هشام التشبيه والتجسيم، وحكى عن الرضا عليه السلام قال: ذكر العبّاسي فقال هو من غلمان أبي الحرث يونس بن عبد الرحمن، وهو من غلمان هشام، وهشام من غلمان أبي شاكر، وأبو شاكر زنديق، وذكر ابن المعلم في الإيضاح قيل للصادق عليه السلام: إن هشاماً يقول بالتشبيه، فقال: أبرأ إلى الله منه، ولعنه، وروى الحسن بن عبد الرحمن الحمّاني قال: قلنا لعلي بن موسى الرضا عليه السلام إن هشام بن الحكم يزعم أن الله جسم لا كالأجسام،فقال: قاتله الله، أما علم أن الجسم محدود، أبرأ إلى الله من هذا القول، وعن يونس بن ظبيان: دخلت على الصادق عليه السلام فقلت: إن هشام بن الحكم يقول عظيما، إلا أني إختصرت منه حرفاً، يزعم أن الله جسم، لأن الأشياء شيئان، جسم وفعل، ولا يجوز أن يكون الصانع فعلا، فيجب أن يكون بمعنى الفاعل، فقال الصادق: أوما علم أن الجسم محدود متناهى وأن المحدث المتناهي يحتمل الزيادة والنقصان، وما احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقا، ذكر هذين الخبرين ابن ناجيه الأصفهاني في كتابه، قال رحمه الله: وسأل أعرابي عمرو بن عبيد عن التوحيد فتناول

بيضة بين يديه فوضعها على راحته وقال: هذا حصن مملق لا صدع فيه، ثم من وراء ذلك عرقيء مستشف، ثم من ورائه دمعة سائلة، ثم من ورائها ذهب مائع، ثم لا تنفك الأيام والليالي حتى تنفلق عن طاووس ملمع. فأي شيء في العالم إلا وهو دليل على أنه ليس كمثله شيء. وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله: {أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة، رجل قتل نبياً أو قتله نبي، وإمام ضلالة، والمصورون} قل الحسن: هم الذين يصورون الله بقلوبهم، قال رحمه الله، وللصاحب:

إذا بعثت لقيــت الله مبتهـلاً معي أمانان من عدلٍ وتوحيد
هذان أصلان ضل النـــاس بينهما إلاّ المجرد فيه أي تجريد

قال رضي الله عنه: وأنشد بن يزداذ في كتاب المصابيح:

لَو شُقَّ عَن قَلبي يَرى وَسطَه سَطران قَد خُطّا بِلا كاتِبِ
العَدلُ وَالتَوحيدُ في جـــانِبٍ وَحبُّ أَهلِ البَيتِ في جانِبِ

الحديث الثامن والعشرون:

أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد الفارسي، حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي، حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا عبد الوهاب الثقفي، حدثنا خالد الحذاء، عن أبي عمار النهدي، عن أبي موسى الأشعري، أن النيس صلى الله عليه وآله قال: {يا عبد الله بن قيس، ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة، قلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله}، قال رحمه الله: الخير يفيد وجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إلى الله، وقوله "لا حول" الحول الحركة، يُقال: حال الشخص إذا تحرك، فكأنه يقول لا حركة إلا به، يعني بقدرته وإليه، والمراد به جميع النصرفات لا نفس الحركة، ويقال: استحلت الشخص أي نطرت هل يتحرك، وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله: {اللهم بك أحول وبك أجول} يعني بك أتحرك في تصرفاتي وبك أصول على أعدائي أي أنصرك، وقيل الحول الحيلة، يعني ما يأتي العبد من جهة الله تعالى فلا حيلة له في دفعه إلا به، يقال: ما له

حول، وحيلة واحتيال ومحالة، وقيل الحول القوة، وهي القدرة ومعنى الخبر: لا يتهيأ لأحد فعل إلا بقدرته وآلة يعطيها الله تعالى إياه.

قال رحمه الله: ونعود إلى الكلام مع المشبهة، قالوا: قال الله تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } [القمر : 14]، وعن عطاء، عن إبن عبّاس في تفسير قوله: {بِأَعْيُنِنَا } أنه أشار بيده إلى عينه، وقال تعالى: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } [الطور : 48] وقال تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا } [هود : 37]، وروى أبو هريرة {أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ أنه {كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء : 58] فوضع أُصبعه الدعّاء وإبهامه على عينه وأذنه، فنبه على إثبات العين والأذن}، وروى عقبة بن عامر، قال: {رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ وهو جاعل اصبعه تحت عينه، يقول:كل شيء بصير}، والجواب: أن العين في كلام العرب تستعمل بمعان، والعين عين الإنسان وكل ذي بصر، وجمعه أعين وعيون، وهو أصل في الباب وهي حاسة مركبة، وأجسام مؤلفة، جعلها الله تعالى آلة للرؤية لمن يرى بحاسة ويحيي بنية وحياة، والعين المتجسس للخبر، وبلد قليل العين أي قليل الناس، والعين عين الماء، وماء معين أي ظاهر للعيون، والعين سحابة تقبل من ناحية القبلة، والعين مطر يدوم خمساً أو ستاً لا يقلع، والعين عين الشمس، والعين ثقب في المزادة، والأعيان الإخوة بنو أب وأم، فإن كانوا لأُمهات شتّى فهم بنو عالات، وإن كانوا بنوا آباء شتّى فهم بنو أحياف، والعين الحفظ، ومنه في الدعاء: "عين الله عليك" "وأحرسنا بعينك التي لا تنام"، والعين المال الناض، وعين الشيء نفسه، يقال: هذا درهمك بعينه، والعين الميل في الميزان، والعين عين الركبة النقرة التي تكون فيها، وقد فسّروا قوله: {كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي } [الكهف : 101] المراد به القلوب، فأما قوله: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا } [هود : 37] قيل: بإبصارنا إياك وحفظنا لك، وقيل {بِأَعْيُنِنَا} أي بمرأى منا، يراك كما يرى الرائي بالعين، وقيل بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين، فإنهم يحرسونك ممن يمنعك، وقيل بعلمنا وما نوحيه إليك من صفتها، وقوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } [القمر : 14] قيل: بمرأى منا، وقيل بأمرنا وقيل بأعين أوليائنا وقيل بحفظنا وحراستنا، وقيل تجري بأعيننا من الماء الذي أنبعناه، وقوله: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } [الطور : 48] أي بحيث نرعاك ونحفظك، وقيل بمرأى منا،فأما العين بمعنى الحاسة فلا تجوز عليه تعالى لأنه ليس بجسم، ولأن ظاهره يقتضي أن يكون له أعين وهذا لا قائل به، فكونه صفة غير معقول، والكلام على صحة الشيء وفساده فرع على كونه معقولا، وبعد، فلم نسمع في لغة العرب العين بمعنى الصفة، فأما الخبر فليس فيه إلا أنه أشار إلى عينه فما فيه من إثبات الجارحة، ولو إقتضى إثباتها لاقتضى كونها مثلا لهذه الجوارح، والمراد به أنه يُبصر الأشياء وإن كان بغير حاسة كما نبصر بالحاسة، منها أن الإدراك صفة

غير سائر الصفات وغير كونه عالما، قال: حدّث السيد الإمام أبو طالب رضي الله عنه أجازة، قال: حدثني أبو أحمد محمد بن علي العبدكي، قال: حدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي، قال: كان الداعي محمد بن زيد يتهم الناصر للحق الحسين بن علي بأنه منطوٍ على دعاء الناس إلى بيعته، قال: وكنت وأبا مسلم بن بحر نذب عنه، فاتفق يوماً أن كنت أنا وأبو مسلم في مجلس الداعي، ودخل الناصر وقال: يا أبا مسلم من القائل:

وفتيان صدق كالأسنة عرسوا على مثلها والليل تغشى غياهبه
لأمـر عليـهم أن يتـم صدوره وليـس عليهـم أن تتم عواقبه

قال: فعلمنا أنه أخطأ في إنشأ البيتين لأنه يحقق التهمة، فأطرق أبو مسلم وأطرقت، وعَلِمَ أيضا أنه أخطأ فحجل وقعد ساعة وانصرف، فقال الداعي: يا أبا مسلم، ما الذي أنشده أبو محمد؟ فقال: أنشد أطال الله بقاء السيد الداعي:

إذا نحن أُبْنَا سالمين بأنفسٍ كرامٍ رجت أمراً فخاب رجاؤها
فأنفسنـا خير الغنيمة إنها تؤب وفيهـا ماؤهـا وحياؤهـا

فقال الداعي: أو غير ذلك إنه يشم رائحة الخلافة من جبينه، وكان الداعي محمد بن زيد انتصب للأمر بعد موت أخيه الحسين بن زيد غرّة شوال سنة سبعين ومائتين، وكان يحمل في السنة ألف ألف درهم إلى العراق ومكة والمدينة، ويأمر بتفريقها في ولدالحسن والحسين وسائر أولاد أمير المؤمنين وأولاد جعفر وعقيل وأولاد العبّاس وضعفاء الشيعة، قال رحمه الله: وحدّث السيد أبو طالب عليهم السلام إجازة عن العبدكي قال: سمعت أبو القاسم البلخي يقول: ما كتبت بين يدي أحدٍ إلا استصغرت نفسي، حتى كتبت للداعي محمد بن زيد، فخيّل إلي أني أكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال رحمه الله: وروى لبكر بن عبد العزيز يمدح الداعي من قصيدته:

وإذا تبسم سيـفه بكت النساء من القبائل
وإذا تخصب بالدماء خرجن في سود الغلائـل
لا شيء أحسن عنده من نائل في كف سائـل

وقُتِل محمد بن زيد يوم الجمعة لتسع خلون من شهر رمضان، سنة سبع وثمانين ومائتين، وحُمل إبنه أبو الحسن زيد إلى بخارى، وكان فاضلا نبيلا، فمن شعره الذي قاله ببخارى:

إن يكن نـــالك الزمانُ ببلوى عظُمت شدة عليــك وجلّت
وأتت بعدهـــــا نوازل آخرى خضعت عندها النفوس وذلت
وتلتهـــــا قوارع باكيـــات سُئمت دونهـــا الحيـــاة ومُلّت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايـــا إذا توالـــت تولت
وإذا أوهنت قواك وحلـــت كُشفت عنك جمـــــلة فتجلت

قال رحمه الله: ولمنصور بن الفقيه رحمه الله:

إذا فخرت بنو الاسلام يومـــا على من ليس منها بالرسول
قضيت لها كما أقضى عليها بأن خيارهـــــا ولد البتـول

الحديث التاسع والعشرون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد رضي الله عنه، حدثنا أبو عمرو بن حمدان إملاءً، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، قال: حدثنا أبو كامل الفضيل بن حصين، قال: حدثنا حصين بن نُمير، قال: حدثنا حسين بن قيس، عن عطاء، عن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {لا يبرح العبد من بين يدي ربه يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: شبابه فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين إكتسبه وفيما أنفقه، وما عَمِل فيما عَلِم}، قال رضي الله عنه: الخبر يفيد أن العبد يُسأل يوم القيامة عن أعماله، وإنما يُسأل لا للتعريف لكن توبيخا وتقريعا، وليعلم الأشهاد أنه مجازى بعمله، وفيه لطف لنا إذا أخبرنا بذلك، ويفيد أنه يُسأل عن ماله، فإن كان من وجه حسن لم يعب عليه، وإن كان من وجه محظور عوقب، وكذلك يُسأل عن إنفاقه، وفيه تحذير عن جمع المال من غير حلة وإنفاقه في معصية ربه، ويفيد أن العلماء يُسألون ما عَمِلُوا فيما عَلِمُوا، ومعنى قوله "بين يدي ربه" أي في الموضع الذي أوقفه فيه، لا أن هناك يداً،

قال رضي الله عنه: فإن قيل فقد نطق القرآن بذكر اليد في قوله تعالى: {بل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة : 64]، وقوله {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص : 75] {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } [الذاريات : 47]، وورد الخبر بذلك، ففي حديث ابن عمر : {خلق الله أربعة أشياء بيده، العلم والعرش وجنة عدن وآدم}، وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن الله تعالى باسط يده لمسيء النهار ليتوب قبل الليل، ولمسيء الليل ليتوب قبل النهار، حتى تطلع الشمس من مغربها} وروى إبن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {إن الله تعالى أول شيء خلقه العلم، فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين}، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لما خلق الله تعالى الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتي تغلب غضبي}، قال: وروي أنه له يمنى وقد نطق القرآن في قوله تعالى: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } [الزمر : 67]، وفي خبر إبن عمر : {أجرى القلم بيمينه، وكلتا يديه يمين}، وروى عبيدة السليماني عن عبد الله أن حبراً من اليهود جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع، والأرض على أصبع، والجبال والشجر على اصبع، والماء والثرى على اصبع، والخلائق كلهم على اصبع، يهزهن ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الملك،فقلد رأيت رسول الله صلى الله عليه ضحك حتى بدت نواجده تعجبًا مما قال وتصديقا له، ثم قال صلى الله عليه وآله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } [الزمر : 67]، وفي الخبر إثبات الأصبع أيضا، وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ يُصرف كيف يشاء، اللهم مُصرّف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك}، قال: وروى أنس عنه صلى الله عليه وآله: {ما من قلب إلا وهو بين اصبعين من أصابع رب العالمين، ما شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، قال: والميزان بيد الرحمن تعالى، يخفض ويرفع، وكان يقول يا مثبت القلوب ثبت قلبي على طاعتك}، والجواب: أنّا نبيّن معنى اليد واليمين والاصبع في اللغة، ثم نفسر الآيات والأخبار على ما يوافق أدلة العقول والكتاب، ونفي التشبيه في أنه تعالى ليس بجسم وأنه منزه عن الأعضاء والجوارح، أما اليد فتستعمل في اللغة على وجوه كثيرة، منها اليد يد الإنسان، والجمع أيدي وتصغيره يديه، ومنه قوله: {فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } [المائدة : 38]، واليد المنة والنعمة، يقال: لفلان على فلان يد، والجمع أيادي وأيديت عنده يدا اصطنعتها عنده، وقيل في قوله تعالى: {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ } [التوبة : 29] أي إنعامٍ عليهم بقبولل ذلك لما فيه من اللطف لنا ولهم، وقيل نقداً، وقيل عن إعتراف بأن الإسلام عال، واليد القوة والقدرة، والجمع أيدٍ واليد أيضا القوة ومنه قوله عليه السلام: {وهم يد على من سواهم} أي قادرون عليهم، وقيل مجمعون عليه، واليد المُلك، ومنه الذي بيده عقد

النكاح، أي يملك عقد النكاح، واليد تُستعمل بمعنى الصلة وتأكيد الإضافة، يقال: هذا ما جنت يداك، ومنه {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ } [المسد : 1] يعني نفسه، وذلك لأن الفعل قد يُضاف إليه لأنه أمر به، ومُضاف لأنه فعله بنفسه، فإذا أُريد حقيقة الفعلية ذكروا اليد، لأن اليدين هما الأصل في التصرف، قال الزجاج: يقال للرجل إذا وُبّخ: ذلك بما كسبت يداك، وإن كانت اليدان لم يجنيا شيئاً، ومنه: حتى إذا ألقت يدا في كافر[20]، أي غربت،واليد تستعمل بمعنى الطاعة، واليد تستعمل بمعنى الطاعة والتصرف، يقال: أنا بين يديك، وكل الأمر بيد فلان، واليد تستعمل بمعنى الأمام ومنه: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا } [البقرة : 66]، {فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً } [المجادلة : 12]، واليد الجماعة، ويقال: سُق في يده، أي ندم، ومنه {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ } [الأعراف : 149]، ويُقال للقوم إذا تفرّقوا: صاروا أيادي شتّى، وقد ورد لجميع ذلك نص أهل اللغة والأشعار، فمن قديم الأشعار قوله:

إعمد لما تعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

وقال آخر:

يدكم يد عندي لها ما يشكرها يدان لأقلام الفصّاح ومقول

فالمراد باليد الأولى النعمة، وباليدان القوة، وقال آخر:

فلا لِامرِئٍ لي حين يُسنِدُ قومهُ إِلَيَّ وَلا بالأَكثريـــــنَ يَدانِ

يعني القوة، وقال آخر:

وسقماً ألحّ فما لي بما أحاط برجلي منه يدان

20 بيت من شعر لبيد بن ربيعة العامري، وهو من شعراء العصر الجاهلي، (ألقت) يعني الشمس أضمرها ولم يجر لها ذكر، ومعنى قوله (ألقت يدا) أي بدأت في المغيب.

فإذا أضيف اليدان يقال يدي، وفي أمثال أبي عبيدة عن العرب: "يدين ما أرودها زائدة" أي بقوة وزائدة إسم رجل، فأما اليمين فيستعمل بمعنى الجارحة، وبمعنى القسم، وبمعنى القدرة، ومنه شعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقد فُسّر قوله: {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة : 45] على وجوه، فقيل: أخذناه بقوة وقدرة، وقيل: أخذنا قدرته، وقيل: جازيناه بأن يأمر بأخذ يمينه وإلقائع في النار، وقيل: أخذنا بيمينه فمعناه التصرف، واليمين من قولهم فلان ميمون النقيبة، أي مبارك النفس، والعرب تنسب الفعل المحمود إلى اليمين، ومنه: {إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : 28]، واليمين واليامن بمعنى كالقدير والقادر، ومنه يقال: يمنّ الله الإنسان بيمنه يَمنا ويُمنا، وعن إبن عبّاس: اليمين إسم من أسماء الله تعالى، فأما الإصبع فتستعمل على وجوه، منها الجارحة المعروفة، صبّع فلان بفلان إذا أشار بإصبعه معتابا، وفيه لغات أَصبع، بفتح الهمزة والباء وضمهما وكسرهما ثلاث لغات، وإِصبع بكسر الهمزة وفتح الباء وأُصبع بضم الألف ورفع الباء، ومنها الأصبع الأثر الحسن، يقال: إن له علي أبلد إصبعا، قال صحاب المجمل وهو في شعر للراعي يعني قوله:

ضَعيفُ العَصا بادي العُروقِ تَرى لَهُ عَلَيها إِذا ما أَجدَبَ الناسُ إِصبَعا

وقيل: الأصبع في بيت الراعي المراد به اليد وهو النعمة، فلما لم يمكنه ذكر اليد كنى بالأصبع عن اليد لأنها من اليد، فحصل الأصبع مستعملا في ثلاث معانٍ على ما بيّنا، فإذا ثبت هذا قلنا: إذا احتمل هذه الوجوه فلم حملوها على ما يوجب التشبيه؟ وهلاّ حملوها على ما يوافق التنزيه؟ فأما قوله: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص : 75] قيل: بقدرتي، وهو من قولهم يدان، أضيف فصار يدي، فخصّ آدم لأنه خلقه كما هو من غير ترتيب وتدريج، كما يخلق أولاده، وقيل: اليد صلة أي خلقه بلا واسطة من ذكرٍ وأنثى، وقيل: الباء بمعنى اللام، أي خلقته لنعمتي، نعم الدين والدنيا، لأنه جعله خليفة في الأرض وجعله نبياً، وقوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة : 64] يعني نعمه على خلقه، وذكر بلفظ التثنية لأن نعمه وإن كثرت فإنها ترجع إلى شيئين، نعم الدين والدنيا، أو نعم الأولى والعقبى، وإنما أجاب اليهود حين وصفوا الله تعالى بالبخل في قوله: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } [المائدة : 64] لأن عاقلا لا يقول أن يده مغلولة من الغل،

وقوله: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات : 47] أي بقوة، كقوله: {دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ } [ص : 17] ولو حمل على ظاهره لوجب أن يكون له أيدٍ وهذا لا قائل به، وقول ابن عمر خلق "أربع أشياء بيده" يعني بغير واسطة خلقها كما هي من غير غارس ولا فاعل ولا تدرج ولا ترتيب، ومعنى قوله في حديث أبي موسى "باسط يده" أي نعمه عليهم بقبول التوبة منهم، وقوله في حديث أبي هريرة "كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي" يعني كتبها هو تعالى بأن أظهرها في اللوح من غير واسطة، وأما قوله "والأرض جميعا في قبضته يوم القيامة" أي ملكه يتصرف كيف شاء وينفرد بالتصرف في الآخرة بخلاف الدنيا، وقوله {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } [الزمر : 67] أي بقوته وقدرته، وقيل يطويه للقسم الذي أقسم بفعله كذلك، وقوله في حديث ابن عمر "خلق القلم فأخذه بيمينه" أي بقوته وقدرته، وقوله "وكلتا يديه يمين" يعني أن للإنسان يميناً وشمالاً يتصرف بهما وهما في صفة الله قوته وقدرته، وذلك يبيّن أن المراد باليمين هو الجارحة، وقوله "ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن" يحتمل بين نعمتين من نعمه، نعم الدين والدنيا ونعم الألطاف بالمنافع والألطاف بالمصائب وما فيها من الأعواض من قولهم الاصبع الأثر الحسن، وإن كان بمعنى اليد فاليد النعمة أيضا، ويحتمل أنه أراد إن قلبه في قدرته، فكنى بالاصبع عن القدرة، يعني كأنه بين أصابعه في أنه يتصرف فيه كيف شاء، يدل عليه أنّا نرى القلوب كلها ولا اصبع ثَم، وقوله "ما شاء أي يقيمه" يعني إن كان للعبد ألطاف فيفعل به ذلك فيقيمه بألطافه وإن لم يكن له ألطاف خلاّه واختياره، فكأنه أزاغ قلبه، وقوله "والميزان بيد الرحمن" يعني إليه حكمه، كما يقال هذا الأمر بيد فلان، وقيل من قدرته على ما روي في كفتيه من العِظَم،فأما حديث اليهود فيحتمل أنه يحمل الأشياء بقدرته يوم القيامة، ويحتمل أنه صلى الله عليه وآله أنكر قوله لذلك قرأ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } [الزمر : 67]، وقوله وتبسم تصديقا له من قول الراوي لعله ظن ذلك، ويحتمل على اصبع من أصابع ملائكته، وقوله "أنا الملك" يعني أنا الذي أخلق خلقا يحميل جميع ذلك على أصابعه، فهذا جملة ما قيل في هذه الأخبار وشرحه مما يطول، وقد بيّنا أن حمله على الجارحة والصفة لا يجوز، فكلام النبي صلى الله عليه وآله إذا صح عنه لا بد له من معنى، ولعل أكثر أخبار التشبيه من دسيس الملحدة، ألقوها إلى ضعفة المسلمين إلقاء الشبهة والله أعلم، قال رحمه الله: روو جماعة أن الأصمعي دخل على الرشيد فرآه مكتئباً يتنفص الصعداء، فقال: يا امير المؤمنين، أو مثلك يتنفس الصعداء وأنت يخطب لك في شرق الأرض وغربها، فقال: رفقا يا أخا بأهله، سمعت أبي المهدي يقول: سمعت جدي المنصور يتمثل وهو يقول:

كن موسرا إن شئت أو معسرا لا بد في الدنيا من الغم
و كلمـــا زادك مـــن نعمـــة زاد الذي زادك في الهـــم

قال رحمه الله: وأنشدت لبعضهم:

قل لِمَنْ أبْصَرَ شيئا مُنْكَرَهْ وَرَأَى مِنْ دَهْرِهِ مـــا حَيَّـــــرَهْ
ليـــــس بالمنكر ما أبصرته كل من عاش يَرَى ما لم يَرَهْ

وقال رحمه الله: وأنشدت للصاحب يخاطب حنبليا زعم أن معبوده شاب أمرد قطط الشعر:

إن كان معبودك أضحى أمرداً وكان معشـــوقك أيضـــا أمرداً
فبيّن الفصل الذي بينهمـــــا هـــذا ومـــا تفصل فيـــه أبداً
أولا فأنت عـــابد لصنـــم لا الواحد الفرد القديم الصمدا

قال رحمه الله: وأنشدت له:

شيئان من يعذلني فيها يبـــوء بالإثـــم وبالعـــذل
حب علي بن أبي طالب والقول بالتوحيد والعدل

الحديث الثلاثون:

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أبو علي الموصلي، حدثنا غسّان بن الربيع، حدثنا إسماعيل بن عيّاش، عن عمر بن عبد الله، عن عكرمة، عن إبن عبّاس قال: {كنت ردف النبي صلى الله عليه وآله فقال لي: يا غلام ألا أعلمك شيئاً ينفعك الله به، قلت: بلى يا رسول الله، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بشيءٍ لم يكتبه الله لك لم يقدروا، ولو جهد الخلائق أن يضروك بشيءٍ لم يضروك لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا على ذلك}،

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد وجوب الإنقطاع إلى الله تعالى، ويفيد أن خلاف المعلوم وما كتبه الله في اللوح لا يكون، وقوله "تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" يعني تقرب إليه بكثرة الطاعات يجازيك في حال الشدة.

قال رحمه الله: فإن سأل سائل فقال: قد روي في الخبر أن له كفّا وقدماً وصورة، فروى هشام بن الحكم أن رجل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أفاضهم في كفيه، فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وروي في ذلك أخبار بألفاظ مختلفة، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إختصمت الجنة والنار، وروى أحيحة فقالت الجنة: يا رب ما لي يدخلني إلا فقراء الناس، وقالت النار: ما لي يدخلني إلا الجبّار والمتكبر، فقال للنار: أنت عذابي الذي أصيب به من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وكل واحدة منها أملاؤها، فأما الجنة فإن الله تعالى ينشئ لها ما يشاء، وأما النار فيلقون فيها حتى تقول هم من مزيد، حتى يضع قدمه عز وجل فتمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط}، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن الله خلق آدم على صورته}، والجواب: أما حديث إخراج الذرية من ظهورهم فحدثيث مردود، فقد ردّه مشايخنا رحمهم الله وذكروا أنه لا يصح، وأنه يفتح باب مذهب التناسخ، وقالوا لو كان ذلك صحيحا لكُنَّا نتذكر ذلك، وعدُّوه من دسيس الملحدة، وقالت الإخشيدية يجوز من غير قطع، وأما الحشوية فيصححوا الخبر وحملوا عليه الآية وهو قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ } [الأعراف : 172]، وليس فيها شيء مما ذكروا على ما بيّن في كتب التفاسير، فإن ثبت الخبر فالمراد بالكف القدرة والتصرف كما يشاء من غير منع، كما يقال هذا البلد في كف فلان وقبضته، فكأنه تعالى جعل بني آدم قسمين بقدرته، وأخبر عن حالهم المعلومة عنده مُنَبِّها على كمال قدرته وعلمه، فأما حديث القدم فقد ردّه كثير من مشايخنا، وتعاطى بعضهم تأويله، والذي يبيّن فساد ما يذهب إليه أهل الحشو أنه تعالى ذكره في نص كتابه فقال تعالى: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود : 119]، وهم يرون أنه يملأ ذلك من قدمه، فإن ثبت، فقيل معناه حتى يجعل الله فيها الذين قدمهم له من شرار خلقه، فهم قدم الله للنار كما أن المسلمين قدم الجنة، والقدم في العربية الشيء تقدّمه قدامك، وذكر شيخنا أبو القاسم رحمه الله أنه روى عن بعض المحدثين أنه روى الخبر فقيل له إن المعتزلة تتأول الخبر على هذا المعنى فكان بعد ذلك يروي حتى يضع الجبّأر رجله، وهذا يدل على قلة مبالاة القوم بالدين، فأما حديث الصورة فمن الأخبار الضعيفة، فإن ثبت، فقيل المراد خلق آدم على صورته أي على هيئته التي كان عليها من غير ترتيب وتدريج كما يخلق بني آدم فينقله من حال إلى حال، فمرة نطفة ومرة علقة ومرة مضغة ومرة

جنيناً ومرة عظاماً ومرة طفلاً ثم شابّاً ثم كهلاً، يوضحه أن الهاء أقرب إلى إسم آدم، فرجوع الكناية إليه أولى[21]، وقيل خلق آدم على صورته التي وعدها ملائكته وكان وعدهم أنه سيخلق بشراً من صفته كذا ويجعله خليفة في الأرض، وقيل أنه أشار إلى رجل وقال أنه تعالى خلق آدم على صورته، وقيل خلق ملكا من حملة العرش على صورة آدم فأراد أنه خلق على صورة ذلك الملك.

قال رضي الله عنه: ذكر الناصر للحق الحسن بن علي عليه السلام بإسناده عن عطاء بن السائب قال: أخبرني أكثر من عشرة أن أبا موسى الأشعري دخل على علي عليه السلام فقال له م هذا الذي تحدث به، فقال أبو موسى: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {تكون فتنة المضطجع فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي، فإذا كان ذلك فاقطعوا أوتار قسيّكم واضربوا سيوفكم بالحجارة} فقال له علي عليه السلام: أنشدك الله قال ذلك لك خاصة، أنت فيها يا أبا موسى مضطجع خير منك قائم، فقال: فهكذا فحدث الناس، وذكر بإسناده عن أبي مريم الحنفي قال: كنت أُصلي خلف أبي موسى بالكوفة، فلما صلى يوماً الفجر قال: قَدِم الليلة رجل من خيار أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، عمّار بن ياسر، فمن أحب أن ينطلق معي فليفعل، فإن له حقّاً فانطلقنا ودخلنا عليه وسلمنا وسلم أبو موسى فما سمعناه رد، ثم كان أول كلامه أن قال: يا عبد الله بن قيس أنت المثبط الناس عن علي وأنت الذي تقول أقطعوا أوتار قسيّكم، ويلك! فمن يضرب خراطيم الفتن، وأين قول الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ } [البقرة : 193] وأنت القائل أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {ستكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان}، ويلك يا عبد الله بن قيس! أما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: {من كَذِبَ عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار} وأنا أشهد أنك كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فرأيت أبا موسى يتفزع كما يتفزع الديك وقام وخرج، قال رضي الله عنه: وذكر أبو القاسم البلخي رحمه الله بإسناده عن ابن عبّاس قال: رأيت أبا بردة بن أبي موسى بواسط نظر إلى أبي الغادية المزني قاتل عمّار بن ياسر فقال: أرني يدك التي قتلت بها عمّارا حتى أُقَبِّلَهَا، قال رحمه الله: حدثني أحمد بن علي بن مخلد، قال: روى أن أبا بردة كان يتبختر في مسجد البصرة ويقول: ما لي لا أتبختر وأنا ابن فلان ويذكر أبا موسى، فقال الفرزدق: حُقَّ لك أن تتبختر وقد حجم أبوك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بردة: كان ذلك مرّة تبيَّع بالنبي الدم، فقال:

21 قلت: وهذا تأويل حسن أفضل من التأويلات الأخرى، وإن كان سيعترض عليه القائلين بالتطور الموجه، وجلّهم يقرّون بأن آدم خلق من غير أب ولا أم لكن لا يقطعون بأنه خلق مباشرة كما هو كما تأول الخبر شيخنا الحاكم، بل مرّ بأطوار والله أعلم.

الفرزدق: مه، الشيخ أتقى من أن يتعلم الحجامة على قفا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بردة: كيف لا أتبختر وأنا ابن أحد الحَكَمين، فقال الفرزدق: أحدهما مائق، والاخر فاسق، فكن ابن أيهما شئت، قال رحمه الله: وذكر أبو القاسم البلخي رحمه الله أن أبا بردة حكم على الملاعنة برد ما قبضت من المهر بخلاف الإجماع، فقال كثير السهمي:

وسَنَّ أبو بردة على النـــــاس سُنَّةً مضللة يقتاسها كل فــاجر
وحرّم فرجا فقضــى بصداقه وما يستحل الظلم من فرج كافر
فلولا سعيد ردها ما استقالها وللجهل خير من حكومة جــائر

قال أبو القاسم: وأبو موسى صاحب الحكم الذي أورث المسلمين ما أورث، قال رضي الله عنه: ومن المشهور أن أمير المؤمنين لعن خمسة نفرٍ، معاوية وعمراً وأبا موسى وأبا الأعور السلمي وبسر بن أرطأة، وروى ابن ناجية الأصفهاني في كتابه، عن الميسور بن مخرمة، قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف: أما علمت أنا كنّا نقرأ: "وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله" فقال: بلى، ومتى يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء[22].

قال رحمه الله: وأنشدت للصاحب:

إن المحبة للوصي فريضة أعني أمير المؤمنيــن عليًّا
قَد كلَّفَ اللهُ البَرِيَّةَ كلَّهـــا وَاِختارَه لِلمُؤمِنيـــنَ وَلِيّا

وله أيضا:

لآل محمد أصبحت عبداً وآل محمد خيـــــر البرية

22 قلت: وهذا الخبر ضعيف، والآية المزعومة أنها نسخت ليس فيها بلاغة القرآن ولا نظمه- ان صح التعبير - فالظاهر أنها مكذوبة، والخبر وجدته في تاريخ الإسلام للذهبي ويذكره المفســـرون في تفاسيرهم، قال الألوسي: أخرجه البيهقي في «الدلائل» عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف فذكره، ولا يخفى عليك حكم هذه القراءة، وقال النيسابوري: ((قال العلماء لو صحت هذه الرواية فلعل هذه الزيادة من تفسيره صلى الله عليه وسلم وليست من نفس القرآن وإلا لتواترت)) وهو كما ترى. [روح المعاني للألوسي ج 9 ص 199]

أناس حل فيهـــم كل خيـر مواريث النبوة والوصيه

ولبعضهم:

إن كان قد عظمت ذنوبي كثرة لا بأس لـي أنـي مجد طـــامع
فالله جل جلالـــه لي راحـــم ورسوله صلى الله عليه شـافع
أهل الكســـــاء محبتي إياهم والعدل والتوحيد دين جـامع
وإذا تكاملت الديـانة لأمري لا شك في جنّـــات عدن رافع

قلت: قال الحاكم بعد أن ذكر حديث {لا صام من صام الأبد} وشرحه فقال رحمه الله: ونعود إلى الكلام مع المشبهة، إن سأل سائل فقال: رُوي في بعض الأخبار جواز الضحك والفرح على الله تعالى، فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {يضحك ربنا تعالى إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل ويتوب إليه القاتل فيستشهد}، وروى أبو هريرة في حديث الأنصاري الذي أضاف السائل في حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لقد ضحك الله منك ومن إمرأتك البارحة ما صنعتما بضيفكما}، وفي حديث الخدري عنه صلى الله عليه وآله: {إن الله تعالى ليضحك إلى ثلاثة نفر، إلى قوم صفُّوا في الصلاة، وإلى الرجل قائم في ظلمة بيته، وإلى الفارس خلف الكتيبة المنهرمة يحميها} إلى غير ذلك من الأخبار، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن الله لأفرح بتوبة عبده من أحدكم بضالته يجدها بأرض مهلكة} ونحوها من الأخبار، والجواب: إن الضحك هو صفة لا تجوز على الله تعالى، لأنه تَفَتُّح واستبشار يظهر في الوجه مع إعتقاد منفعة، والفرح إعتقاد منفعة تصل إليه، والله يتعالى عن ذلك، والأخبار من الآحاد فلا يُعترض بها على ما ثبت بأدلة العقول وكتاب الله تعالى وظاهر السنن، فإن ثبت فيحتمل أنه أراد بذلك حسن حالهما عند القديم سبحانه، وإنهما يدخلان الجنة ويستحقّان الثواب، فجعل حسن الحال بمنزلة الضحك إليهما، والعرب تفعل ذلك، فروي في الحديث أن الله تعالى يبعث السحاب فيضحك أحسن الضحك، فجعل إجلاءه عن البرق ضحكاً، وهذا كلامٌ مستعار، ومثله قول الأعشى:

يُضاحِكُ الشَمسَ مِنها كَوكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَميمِ النَبتِ مُكتَهِلُ

فجعل مقابلة الشمس بناتها مضاحكة على الإستعارة، وقال دعبل الخزاعي:

ضحك المشيب برأسه فبكى

وكل ذلك إستعارة، ويحُتمل أن ذلك مما يضحك منه لو كان الضحك يجوز عليه، وذلك نحو قوله: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } [الحشر : 21]، يعني لو تصدّع لشيء لتصدّع للقرآن ، وكذلك قال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ } [الحشر : 21]، ويحتمل يضحك ملائكته فعبّر عنهم بنفسه إعظاماً، كقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ } [الأحزاب : 57] يعني أولياء الله، وقد رُوي في حديث الأنصار بغير لفظ الضحك.

قلت: وقال شيخنا الحاكم بعد أن ذكر خبرا عن عائشة {أن النبي صلى الله عليه وآله كان يتختم في يمينه، وقُبِضَ والخاتم في اليمين} وشرحه، فقال: ونعود إلى الكلام مع المشبهة، إن سأل سائل فقال: روى أبو هريرة وأبو سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {إن الله تعالى يُمْهِلُ حتى إذا ذهب ثلث الليل فيهبط فيقول: هل من سائل فيعطى، هل من تائب فيُتَاب عليه، هل من مستغفر من ذنب فيُغفر له}، وروى جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغر فأغفر له}، والجواب أن النزول والهبوط من صفات الأجسام، وقد دل الدليل على أنه تعالى ليس بجسم، ولو جاز عليه النزول لجاز عليه الحركة والسكون، ولا كان لا يخلو منهما، وذلك يوجب حدثه تعالى الله عن ذلك عز وجل، فإن ثبت الخبر فمعناه تهبط بعض ملائكته ويُنزل كل ليلة ملك من ملائكته فيُنادي بذلك، يقال هَبَطَهُ فَهَبَطَ لازم وواقع.

الحديث الحادي والثلاثون:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رضي الله عنه، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن أحمد الحربي، حدثنا الحسين بن يحيى البغدادي، حدثنا الحسين بن بحر ، قال: حدثنا أبو عبادة الصعق بن حزن، عن علي بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من سُئل عن علم فكتمه فإنما يُجاء به يوم القيامة ملجم بلجام من نار}، قال رحمه الله: الخبر يفيد وجوب إظهار العلم وتحريم الكتمان وأنه من الكبائر،

ويدخل فيه أصول الدين وفروعه، والفتاوى والشهادات وجميع ما يتعلق بالدين، وإنما يجب هذا عند الإختيار ، فأما عند الخوف والتقية فقد لا يجب، ويحسن إذا كان فيه إعزاز الدين، وهذا تأويل الخبر، فإن قيل قد روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه}، وروي أن الميت ليعذب في قبره بالنياحة عليه، وروى المغيرة عن شعبة عن النبي صلى الله عليه وآله: {من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه}، وذكر شيخنا أبو علي رحمه الله في مسند أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده عن إبن عمر أن حفصة بكت على عمر فقال: مهلا يا بنية، ألم تعلمي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه} فما تأويل ذلك؟ الجواب: أنا إذا علمنا بأدلة العقول قبح المؤاخذة بذنب غيره وورد السمع مؤكداً لذلك فقال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [الأنعام : 164] وعلمنا أن الخبر من الآحاد قطعنا على أنه إما مردود أو متأول، فإن أمكن فيه تأويل من غير تعسف أولناه وصرفناه ما يوافق العقل والكتاب وإلا رددناه، وهذا الخبر يحتمل وجوها، أولها: ما ذكره شيخنا أبو علي رحمه الله، قال: إن عائشة أنكرت الخبر وقالت لمن رواه عن عمر وإبن عمر ما رويتم عن كذابين، ولكن السمع يخطئ ويصيب، وتلت قوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [الأنعام : 164]، قال أبو علي: ولعله لحقه زيادة أو نقصان فتغير معناه، ونظن أن ذلك أتى من غير عمر لأنه أعلم بعدل الله من أن يذهب عليه أن معنى الخبر لا يجوز على الله تعالى، وثانيها: ما روي عن عائشة أنها قالت: وَهِلَ [أي غلط] أبو عبد الرحمن، إنما قال صلى الله عليه وعلى آله أن الميت ليبكون عليه وإنه ليُعذب بجُرمه، قولها وَهِلَ أي ذهب وهمه إلى غير الصواب، وثالثها: ما روي عن إبن عباس أنه قال: وهم إبن عمر، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وآله على قبر يهودي فقال: إنكم تبكون عليه وإنه ليعذب في قبره، ورابعها: ذكره شيخنا أبو علي رحمه الله: ما يعرف الخبر إلا وجها واحداً، وهو أن العرب كانوا يبكون على موتاهم بأن يعدّوا أفعالهم التي فعلوها في الدنيا من الغارات والقتال، وكانت تلك معاصي، فكأنه صلى الله عليه وآله قال: إنهم يبكون عليه بهذه الأفعال وهو يعذب بها، قال: وخبر ابن عمر الذي قال لحفصة لا يحتمل هذا، فلعل الخبر لحقه زيادة أو نقصان إذ لم ينقل على وجه، وخامسها: أنه أراد إذا أمر و أوص بأن يناح عليه فيفعل بأمره فإنه يعذب بذلك أي بالأمر بها والرضا بفعلها، ولعل ابن عمر أشار إلى هذا الوجه وبيّن كراهته لذلك، والعرب كانت توصي بالنوح، وورد بذلك أشعارهم: قال طرفة:

فَإِنْ مُتُّ فَانْعِيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ

وقال بشر بن أبي خازم لإبنته عميرة:

فَمَن يَكُ سائِلاً عَن بَيتِ بِشرٍ فَـــإِنَّ لَهُ بِجَنبِ الرَدهِ بابـــا
ثـــوَى في مُلـَدٍ لا بـُدَّ مِنـــهُ كَفى بِالمـَوتِ نَأيـــاً وَاِغتِرابـا
رَهيـنَ بِلىً وَكُلُّ فَتىً سَيَبلـي فَأَذري الدَمعَ وَاِنتَحِبي اِنتِحابا

ولأبي فراس الحمداني يخاطب إبنته في مرض موته:

أَبُنَيَّتي لاتَحزَني كُلُّ الأَنـــــامِ إِلى ذَهـــابِ نوحي عَلَيَّ بِحَسرَةٍ مِن خَلفِ سِترِكِ وَالحِجابِ
قولي إِذا نادَيتِني وَعَيَيتِ عَن رَدِّ الجَوابِ زَينُ الشَبـابِ أَبو فِراسٍ لَم يُمَتَّع بِالشَبـابِ

وأمثال ذلك كثيرة، وسادسها: أراد أنه تعالى إذا أعلمه ببكاء أهله وأعزّته وما لحقهم من الغم سببه تألم بذلك ويشق عليه فكان عذابا له، وليس العذاب هو العقوبة، وقد تذكر ويراد غيرها، كقوله تعالى: {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص : 41]، ذكر هذا الوجه الشريف المرتضى رضي الله عنه، إلا أن فيه نظر، لأن الميت إن كان مؤمنا لا يجوز أن تلحقه مشقة بوجه، وإن كان من أهل النار فما هو فيه أعظم من أن يلحقه غم بالبكاء عليه وذكر قومه وعشيرته، وسابعها: أن المراد بالميت المحتضر ، يريد من حضره أسباب الموت كقوله: {إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ } [البقرة : 133] والمعنى أنهم يبكون عليه لقرب رحيله وخروجه من سعة قصره إلى ضيق قبره، وشق عليه ذلك لمفارقة وطنه وأعزّته وقدومه على ملك لا يدري ما يفعل به، فإذا بكوا عليه بذلك زادت غمومه وترادفت همومه وكثرت مشقته، وهذا أقرب الوجوه في الخبر، ولعل عمر أراد هذا الوجه وأن بكائهم يشق عليه، لأن الخبر لا بد فيه من ضرب من التأويل، لأن الميت يعذب ولا شبهة أن الموت ينافي التعذيب، فكما أضمرنا الموت لا بد لهم أن يضمروا الحياة بعد الموت، فأما البكاؤ على الميت فعلى ضربين، منها ما هو مباح ومنها ما هو محظور، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى على إبنه إبراهيم فقيل أليس قد نهيتنا عن البكاء، فقال: إنما نهيتكم عن عن صوتين أحمقين فاجرين فإنه لهو ولعب ومزامير شيطان ، وعن خمش الوجوه وشق الجيوب، وَرَنَّةِ الشيطان، ولكن هذه رحمة قد

جعلها الله تعالى في قلوب الرحماء، قال رحمه الله: وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام زار قبر فاطمة عليها السلام فبكى وأنشأ يقول:

لكل اجتمـــاع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي واحدا بعد واحدا دليل على أن لايدوم خليـــل

ولما مات الحسن بن الحسن اعتكفت إمرأته فاطمة بنت الحسين على رأس قبره سنة، ثم أمرت بفسطاطها، فرفعت وأنشأت تقول:

إلى الحول ثمّ اسم السّلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال رضي الله عنه: وذكر إبن دريد بإسناده عن عمر بن الخطاب أنه مر بأعرابي في بعض طرق المدينة فقال: من أين، فقال: من عند وديعة لي في هذا الجبل، فقال: وما وديعتك؟ قال: بني لي دفنته منذ سنين، كل يوم أزوره وأندبه. فقال عمر: أسمعني بعض ذلك، فقال:

يا غائبـا لا يؤوب من سفره عـجله موته على صغـــره
يا قرة العيـــن كنت لي أُنسـا في طول ليلي نعم وفي قصره
مـا وقعت العين أين وقعت في الحـــي منـــي إلا على أثره
شربت كأسـا أبـوك شاربها لا بـــد مـن شربهـا على كبره
يشربهـا والأنـام كلهـم من كـان في بدوه وفي حضره
قد قسم العمر في العباد فما يقدر خلق يزيـــد في عمره
فالحمد لله لا شريـك لـه الموت فـي حكمه وفي قدره

فبكى عمر رضي الله عنه، قال رحمه الله: وعن الأصمعي: رأيت إمرأة قائمة بالبادية تبكي وتقول: هذا والله الحق لا ما نعلل به أنفسنا يا أبتِ، فسّح الله لك في ضريحك وألحقك بنبيّه صلى الله عليه وآله، ثم أنشأت تقول:

يا ليت شعري كيف غيرك البلى أم كيف صار جمال وجهك في الثرى
لله درك أي كهـــل غيبـــوا تحت الجنـادل، لا تحس ولا تـرى
لمـــا نقلت الجنـادل والثرى دنت الهموم فغاب عن عيني الكرى

قال رضي الله عنه: ولبعضهم:

أخ طـــالمـــا سرني ذكره فقد صرت أشجى لذكره
وقد كنت أغدو لقصره فقد صرت أغدو إلى قبره

قال: ولعلي بن الجهم:

انظـــــروا هـل ترون إلّا دموعـا شاهدات على قلوب دوامي
من يداوي الدّنيا و من يكلأ الملك ومن للمشكلات العظـام
نحن متنـا بموته وأجل الخطب موت السادات والأعـــــــلام

وذكر السيد الإمام أبو طالب رضي الله عنه قال: كتب بعضهم إلى زيد بن علي عليه السلام يعزيه عن إبن له، فأجابه: أما بعد، فإنا أموات أبناء أموات، فيا عجبا من ميت يعزي ميتا عن ميت السلام، ولبعضهم:

إِنّي أُعَزّيكَ لا أَنّي عَـلى ثقة مِنَ البقـاء وَلَكِن سُنَّةُ الديـــنِ
فَما المُعَزّى بِباقٍ بَعدَ صاحِبِهِ وَلا المُعَزّي وَإِن عاشا إِلى حينِ

قال رضي الله عنه: ومات إبن للرضا عليه السلام، فقال أبو العيناء: يا بن رسول الله، أنت تجل عن عظتنا، وقدرك تقصر عنه صفتنا، وفي علمك بكتاب الله ما كفاك، وفي رسول الله ما عزاك، وفي ثواب الله ما أسلاك.
ثم أنشأ يقول:

لا زلـــت تبقـــى ونعزيـك نحن وأهل الأرض نفديك

يا خير خلق الله عش سالما يكـلأوك الله ويبقيـــــــك

الحديث الثاني والثلاثون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن سهل، حدثنا محمد بن عبد الله الأصفهاني، حدثنا محمد بن خلف المروزي، حدثنا علقة بن مغيرة الأزدي، حدثنا أبو بكر بن عيّاش، عن عاصم، عن أبي النجود، زر بن حبيش، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الفقيه أشد على الشيطان من ألف ورع وألف مجتهد وألف متعبد، وإن طائر الهواء ونينان البحر يصلون على معلم الخير ومتعلمه}[23]، قال رحمه الله: الخبر يفيد فضل العالم والمتعلم، وأن العمل لا يتم إلا بالعلم، وقوله "طائر الهواء يصلون.." توسع، أي لو صلّوا على شيء لصلّوا عليهم، ويحتمل أنه تعالى أنطقهما بالصلاة عليهم، إذ لا مانع يغني العقل بتصور إنطاقه، ويحتمل أنه أراد الملائكة الموكلة بطيور الهواء وحيتان البحر ، وهو قول شيخنا أبي علي رحمه الله، وهذا تأويل الخبر، فإن قيل: روي عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {لا تفتح الدنيا علي قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، [قال عمر] : وأنا أشفق من ذلك} فما تأويل الخبر؟ قلنا: فيه وجوه، أحدها: إذا فتحت لهم الدنيا عملوا بالمعاصي فأمر الله بعداوتهم، فقد ألقى بينهم العداوة بأمره، إياهم بعداوتهم، وأهل الدنيا يدومون على دنياهم والإنهماك في المعاصي، والمؤمنون يدومون على عداوتهم فيبقى حالهم كذلك إلى يوم القيامة، فهذا الذي أشفق منه عمر رضي الله عنه قد رآه الناس بعده، فخرج معاوية لعنه الله باغيا ظالما على إمام الحق علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وخرج إبنه يزيد لعنه الله على الحسين بن علي رضوان الله عليه، فوجب على الناس عداوتهم والقيام بمقاتلتهم، وكذلك أئمة الضلالة بعدهم، فالمضاف إليه تعالى ما أمر به من عداوة الفسقة والظللمة، وعداوتهم للمؤمنين غير مضافة إليه تعالى لأنه نهى عنها وزجر وأوعد عليها، ذكر هذا الوجه شيخنا أبو علي محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وثانيها: أنه ألقى بينهم العداوة بما فعل من اللطف بالمؤمنين ليُعادوا الظلمة فإذا عادَوهم عند لطفه وهم عادوا المؤمنين مكافأة ومقابلة كأنه ألقى بينهم ذلك، وثالثها أن فتح الذنيا إذا كان من جهة الله تعالى وبسبب المشاحنة عليها يتعادون ويتباغضون،

[23] ذكر هذا الخبر في المجلس الثالث بإسناد مختلف.

أضاف ذلك إليه توسعا، كقوله: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ } [إبراهيم : 36]، ورابعها: إذا فتح عليهم أبواب الدنيا وإنهمكوا في المعاصي خذلهم وخلاّهم وإختيارهم تباغضوا وتعادَوا، فكأنه بخذلانه إياهم ألقى بينهم تلك العداوة، وهذا تأويل خبر آخر، فإن قيل: ما معنى تأويل ما رواه معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إستعيذوا بالله من طمع يؤدي إلى طبع، ومن طمع إلى غير مطمع، ومن طمع حيث لا طمع} الجواب: إنه عليه السلام أمرنا بالإستعاذة من طمع يؤدي إلى طبع وإنما أراد أن يسأل العبد ربه بأن يلطف له ويوفقه كي لا يطمع هذا الطمع، لأن الطمع فعل العبد والطبع أصله في اللغة الوسخ والدنس، يغشيان السيف، يقال: طبع يطبع طبعاً، ثم يستعمل فيما يشبه بالوسخ والدنس من الأوزار والآثام، والخبر يحتمل وجهين، أحدهما طمع يؤدي إلى المعاصي، والثاني طمع يؤدي إلى لائمة تلحقه، يعني إستعيذوا بالله كي لا تفعلوا ما هو معصية أو ما تتبعه لائمة، قال الشاعر:

لا خَيْرَ في طَمَعٍ يَهدِي إلى طَبَعٍ وغُضَّة من قَوامِ العيشِ تكفيني

أما الطمع في غير مطمع، هو أن يطمع في شيء يتعذر عليه طلبه ولا يتحصل مراده، فيؤدي إلى التعب والعناء من غير الحصول على المراد، فينبغي للمؤمن أن يتعوذ منه، وأما الطمع حيث لا طمع فهو أن يطمع في وقت أو في مكان أو إنسان أو شيء ليس ذلك بوقت له ولا هو أهل له فيذهب عناؤه باطلا، ويحتمل إذا طمع في الجنة مع إرتكاب المعاصي فذلك طمع حيث لا طمع، وهذا تأويل خبر خبر، فإن قيل: ما معنى ما روى أبو قتادة أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعمّار ومسح التراب على رأسه: {بؤسا لك يا ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية}، الجواب: أنه يفيد إكرام النبي صلى الله عليه وآله عمّارا حين نفض التراب عنه، وقوله "بئسا لك" قال رحمه الله: واشفقا مما يناله من البؤس والقتل، و"الفئة الباغية" معاوية وأصحابه، قتلوا عمّارا وبغوا على إمام المسلمين وقاتلوه ظلما، ولمّا ذكر هذا الخبر لمعاوية عبد الله بن عمرو عند قتل عمّار لم يجد ما يدفع ذلك عن نفسه فقال: أنحن قتلناه! إنما قتله من جاء به، يعني علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال[24] : فحمزة قتله رسول الله صلى الله عليه وآله، فبهت وقال لعمرو أقم إبنك هذا الموسوس، والعجب من هؤلاء الجهال حيث حاربوا عليّا مع علمه بمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومحله من الإسلام، ونصروا معاوية مع علمهم بأنه من الطلقاء، ثم يُرْوَى لهم عن رسول الله صلى الله

[24] يعني علي بن أبي طالب عليه السلام لما بلغه قول معاوية.

عليه وآله مثل هذا الحديث فيقيمون مع ذلك على نصرته ويؤثرون بني أمية على آل رسول الله صلى الله عليه وآله، والحديث يفيد معجزة للنبي صلى الله عليه وآله حيث أخبر عن شيء فكان كما أخبر، قال رحمه الله: وروى أبو يحيى البزار بإسناده عن الحسن أن قوما أتوا عمر وقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً شابّا إذا صلى لا يقوم من المحراب حتى يغنينا بقصيدة، فقال عمر فامضوا بنا إليه، فأتوا وقرعوا عليه الباب فخرج الشاب، فقال عمر: بلغني أنك تغني، فقال: إنما هي موعظة أعظ بها نفسي فقال عمر: قل ، فإن كان كلاماً حسناً قلت معك وإن كان قبيحاً نهيتك عنه . فأنشأ يقول :

وفؤاد كلمـا عـاتبته عـاد في اللذات يبغـي تعبـي

لا أراه الدهـر إلا لاهيـاً في تمـاديـه فقد برح بـي

يـا قريـن السوء مـا هذا الصبا فني العمر كذا في اللعب

وشبـاب بـان عني فمضـى قبل أن أقضـي منه أربـي

مـا أرجـي بعده إلا الفنـا ضيـق الشيـب على مطلبي

ويح نفسـي لا أراهـا أبداً فـي جميـل لا ولا فـي أدب

نفس لا كنت ولا كان الهوى راقبـي المولى وخافـي وارهبـي

فبكى عمر وقال: هكذا فاليغني كل من غنّى، وقال: وأنا أقول:

نفس لا كنت ولا كان الهوى راقبـي الله وخـافي وأرهبـي

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: وممن إشتهر بالقول بالعدل من الزهاد محمد بن واسع، ذكره القيبي وعدّه منهم، ومالك بن دينار، وكانا بالبصرة، سئل محمد عن القدر فقال: الله تعالى يسأل عباده عمّا أمرهم به ولا يسألهم عما قدّر عليهم، ويسألهم عمّا عهد إليهم ولا يسألهم عمّا قضى عليهم، وكان مالك بن دنار راوية لمعبد الجهني، وكان يقول: لا تنحلوا ربّكم الذنوب فيضاعف لكم العذاب ولكن توبوا إليه، وكان مالك بن دينار يقول: إن القُرّاء ثلاثة، قُرّاء الأسواق وقُرّاء الملوك، و قُرّاء الرحمان، وإن محمد بن واسع من قُرّاء الرحمان، وكان الحسن يسميه زين قُرّاء،

واجتمع محمد ومالك فقال مالك: إني لأغبط الرجل يكون له غُنية يعيش بها، فقال محمد: وإني لأغبط من أصبح في الدنيا وليس له غذاء ولا عشاء وهو من الله راضٍ، فرأى الناس أن محمداً أقوى الرجلين، وكان يقول المصيبة على أثر المصيبة، الخطيئة بعد الخطيئة، وكان قتيبة بن مسلم يحارب الترك فهالهم أمرهم لكثرة جموعهم وشدة شوكتهم، فسأل عن محمد بن واسع أين هو، فقيل هو في أقصى الميمنة ينضنض بإصبعه نحو السماء فقال قتيبة: تلك الأصبع الفاردة أحب إلي من مائة ألف سيف وسنان، وكان يقول غفلة غفلة، فإذا أنا شيخ وأنا لا أشعر وكان يتمثل بشعر :

لا تَخلُطَنَّ خَبِيثاتٍ بِطَيِّبَةٍ وإخلعَ ثِيابَكَ حَتى تَنْج عُريانا

الحديث الثالث والثلاثون:

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد بن إبراهيم الفقيه، حدثنا أبو الحسين علي بن محمد الورّاق، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا أبو عمر الحوضي، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن كثير، عن عبد الله بن عمر قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: {{إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله تعالى يبغض الفاحش والمتفحش، وإياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح في أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا} فقال رجل: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: {أن يسلم المسلمون من يدك ولسانك} فقال ذلك الرجل ورجل آخر: فأي الهجرة أفضل؟ فقال: {أن يهجر ما كره ربك وهما هجرتان، هجرة البادي وهجرة الحاضر، فهجرة البادي إذا دعي أجاب وإذا أُمر أطاع، وهجرة الحاضر فأشدهما بلية وأعظمهما أجرا}، قال الحكام الإمام رحمه الله: الخبر يفيد عظم قبح الظلم والفحش والشح، وهو البخل، ويفيد أن هذه الأفعال فعل للعبد وليست بخلق لله تعالى، لذلك حذر منه، ويفيد أن الإسلام ليس هو مجرد القول، ويفيد أن الهجرة في الحقيقة هي هجرة المعاصي، ويفيد أنه تعالى يكره المعاصي وإذا كرهها لا يريدها، خلاف ما يقوله أهل الجبر، ويفيد أن ثواب هجرة شهوات النفس أعظم من هجرة الدار.

الحديث الرابع والثلاثون:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو سعيد[25]، حدثنا أبو قريش ، حدثنا محمد بن اسماعيل الصايغ، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم[26]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الله لا ينظر إلى صوركم ولاإلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد أنه تعالى إنما يجازي على الأعمال وهي تنقسم قسمين، أفعال القلوب: وهي خمسة: الإعتقادات، والإرادات، والكراهات، والظنون، والنظر؛ وأفعال الجوارح: وهي خمسة: الأصوات، والأكوان، والإعتمادات، والتأليف، والآلام، وليس في مقدور العباد غير ذلك، فالجزاء يقع على ذلك دون الصور والأنساب لأن ذلك فعل الله، ولو كانت الأفعال أيضا خلقه تعالى لكان لا يقع عليها الجزاء كما في الصور، فيفيد الخبر أن أفعال العباد حادثة من جهتهم.

الحديث الخامس والثلاثون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا الشـــيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العبّاس ببغداد، حدثنا يحيى بن محمد بن صـــاعد، حدثنا لُوين، حدثنا حماد بن زيد، عن زيد الرقاشـــي، عن أنس قال: قال رسول الله صل الله عليه وآله: {لأن أجلس مع قوم يذكرون الله من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعب عليه الشـــمس، ومن العصـــر إلى غروبها أحب إلي من كذا وكذا} قال: وحدثنا حماد بن زيد، عن المعلا بن زياد، عن يزيد الرقاشي قال: كان أنس إذا حدث بهذا الحديث أقبل وقال: والله ماهو بالذي تصنع أنت ولا أصحابك ولكنهم قوم يتعلمون القرآن والفقه.

قال رحمه الله: الخبر يفيد تعظيم منزلة ذكر الله وأن المراد بذلك الذكر العلم والدين، وهو علم التوحيد وتنزيه الله وعلم الشرائع وعلم القرآن المشتمل على جميع ذلك، وقوله "ماهو بالذي تصنع" يحتمل أنهم اشتغلوا بأمور الدنيا، ويحتمل أنهم حدثوا رياءً وسمعة وفي غير الدين.

---

[25] أحمد بن محمد بن ابراهيم العدل

[26] في النسخ يزيد الأصم

الحديث السادس والثلاثون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا الشـــيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، حدثنا بشـــر بن أحمد الإسفرايني إملاً سنة سبع وستين وثلاثمائة، حدثنا أبو بكر محمد بن عبدان بن عامر السمرقندي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا الفضيل بن عياض، عن سليمان، عن شقيق، عن عبد الله "هو ابن مسعود" قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {أول ما يقضى به بين العباد يوم القيامة في الدماء}

قال رحمه الله: الخبر يفيد أن الله تعالى يقضـــي بين العباد وأن أول ما يقضـــي فيه الدماء، ويوجب عظم أمر الدم، ويفيد أن أفعالهم حادثة من جهتهم، إذ لو كان خلقه تعالى لما صح القضاء بينهم.

الحديث السابع والثلاثون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا الشـــيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا أبو العبّاس محمد بن اســـحاق السرّاج، حدثنا الحسين بن أحمد بن شعيب الحراني، حدثنا محمد بن فضيل، عن ضرار بن مرة، عن أبي سنان، عن أبي صـالح، عن أبي هريرة قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وآله: {يقول الله عز وجل: الصـوم لي وأنا أجزي به، وإن للصـائم فرحتين إذا أفطر فرح وإذا لقي الله فرح، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصـائم أطيب عند الله من ريح المسك}

قال أيده الله: الخبر يفيد فضـل الصـوم وإنما أضـاف ذلك إلى نفسـه لأنه لا يدخله رياء وسمعة، وقوله "فرحتان" يعني فرحة عند إفطاره وفرحة يوم القيامة حيث يرى ما أعد الله له من الثواب والأجر، وقوله "لقي الله" يعني صـار إلى حكمه وجزائه وليس اللقاء من الرؤية في شـيء، وقوله "لخلوف فم الصـائم أطيب" يعني أفضـل والله تعالى يدرك ذلك ويدرك كل المدركات من المرئيات والمســـموعات والمشـــمومات والمذوقات والحرارات والبرودات لأنه حي لا آفة به فواجب إدراكه لذلك ولكن لا يتلذذ ولا يتألم لأن ذلك ينبع الشـهوة والنفار وذلك يسـتحيل عليه، وهذا تأويل خبر إن سأل سائل فقال: روي عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: {إن لك كنزا في الجنة، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبع النظرة النظرة، فإن لك في الأولى وليست لك في الآخرة}، وروى علي عليه السلام أنه مات رجل من أهل الصفة فقيل يا رسول الله ترك دينارا ودرهما، فقال كيتان صلوا على صاحبكم، ما معنى الخبيرن؟

والجواب: أما الأول فإنه صـــلى الله عليه وآله بشّـــره بالجنة، والمراد "بالكنز " ماله فيها من النعيم والســـرور الدائم، وقوله "إنك ذو قرينها" أي إنك المالك لها والمسـتولي عليها، قاله شـيخنا أبو علي رحمه الله، وقيل ذو قرينتها

أراد ذو طرفيها يعني الجنة، قاله أبو عبيدة، وقيل أراد ذو قرني هذه الأمة فأضـــمر الأمر وكنى عن غير مذكور، وقيل أراد الحسن والحسين عليهما السلام، وقيل أنه ضرب على رأسه مرتين، يوم الخندق وحين ضربه ابن ملجم لعنه الله، وفي حديث علي وذكره قصة قصة ذي القرنين، ثم قال وفيكم مثله يعني نفسه ،يعني نفسه لأن ذي القرنين ضرب على رأســه مرتين، وهذا معنى قوله إنك ذو قرني هذه الأمة، ومعنى قوله "لا تتبع النظرة النظرة" لأن الأولى إذا وقعت من غير قصد لا يؤخذ بها والثانية إّذا قصد أُخِذ بها، والمراد بالنرة هو ما حرّم الله تعالى من النظر إلى النساء والعورات ونحو ذلك، والنظر فعل العبد وهو تقليب الحدقة نحو المرئ إلتماسا للرؤية مع سلامة الحاسة، وأما الخبر الثاني فقيل كان ذلك رجل معه الدينار والدرهم وروي أنه فقير ليس معه شـــيء ليعطوه وينفقوا عليه كما ينفق على أهل الصــفة وهم فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما اطلعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على حاله وأنه كان كاذبا فيما يظهر قال "كيتان" يعني ســـيكوى بها على ما أوعد الله تعالى به مانعي الزكاة ولم يصـــل عليه، وروي أنه أمرهم بالصلاة ليعلمهم أن الصلاة على الفساق من سنة الإسلام، ومن صلى على فاسق دعا للمؤمنين ولا يخصه بالدعاء ولم يصل هو عليه لأن صلاته خلاف صلاة غيره، قال تعالى: {إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة : 103] وهذا قول شيخنا أبو علي رحمه الله، والصلاة على الفساق مذهب الفقهاء إلا عند أبي حنيفة فإنه لا يجوز الصلاة على البغاة وعند الزيدية لا تجوز الصلاة على الفسّاق، ويحتمل أنه صلى الله عليه وآله عَلِم بعد موته أن ذلك الدينار كان حراما محظورا حصل من غير وجه فلذلك قال ما قال، ويحتمل أنه ترك من ذلك ما يجب فيه الزكاة كان لا يزكي فلذلك أوعده، وقوله "كيّتان" إنما ثنى لأنه كنّى عن جنسين وفي الخبر أنه ترك دينارا وليس في الخبر أنه لم يترك غيره، ويحتمل أنه أراد الجنسين، فأما حديث الأنصاري الذي مات وعليه دين فروى أبو سعيد الخدري: {أن النبي صلى الله عليه وآله شهد جنازة أنصاري فقال: عليه دين؟ قالوا نعم، فرجع فقال علي: أنا ضامن لذلك فصلّى عليه وقال: يا علي فك الله رقبتك كما فككت عن رقبة أخيك المسلم} فإنما لم يصلِ عليه تعظيما لأمر الديون والمظالم، وقد روى الزهري أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يصلِ على أحد عليه دين، وإنما فعل ذلك حثّا للناس على قضاء ديونهم، ويحتمل أنه لم يصلِ لا لأنه ليس بأهل للصلاة لكن في صلاة رسول الله من الإختصاص ومن السكينة والرحمة ما ليس في صلاة غيره، فلم يصلِ عليه وأمر غيره بالصلاة عليه فلمّا ضمن علي دينه صلى عليه، وقد روي أنه قال: {صلوا على صاحبكم}، وروي أنه سأل عليا بعد ذلك أقضيت دين أخيك؟ قال: نعم، قال: الآن بردت عليه جلده، يعني أسقطت عنه هذه التبعة، والخبر يتضمن أحكاما، منها أن ذلك القدر لم يكن فاسقا لأنه لم يثبت أنه ماطله ولا أنه

كبير لذلك صلى عليه، ومنها ما استدل به جماعة أن الضمان يصح عن الميت سواء مات مفلسا أو غير مفلس لأن النبي عليه السلام لم يستفسر حاله ولو كان الحكم يختلف لاستفسر، وهذا قول أبي يوسف ومحمد، وأما أبو حنيفة فيقول إذا مات مفلسا فلا يصح الضمان عنه لأنه كفالة بعد سقوط الدين كما بعد الأداء والإبراء، ويحتمل الخبر على أنه مات ولم يكن مفلسا، ومنها أن الضمان عن الغير وأداء دينه لغير أمره يصح ويكون متبرعا، ومنها أن قضاء الديون من العبادات التي تجزي فيه النيابة، وقد روي في خبر الخثعمية أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله أن فريضة الله في الحج أدركت أبي وهو شيخ أفأحج عنه؟ فقال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيتيه أكان يجزى عن أبيك قالت: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى.

الحديث الثامن والثلاثون:

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان إملاءً، حدثنا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، حدثنا أبو كريب، حدثنا معاوية بن هاشم، عن سفيان، عن جابر، عن سعيد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي عليه السلام أن كان يصوم عاشوراء ويُخْبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصومه ويأمر به.

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد فضيلة يوم عاشوراء ، وأنه صلى الله عليه وآله كان يصومه، وهو اليوم العاشر من الشهر المحرم، وقد روي في فضله آثار كثيرة، وفضل اليوم يكون بوجوه: منها: أن تكون الطاعة فيه أعظم وأكثر ثوابا والمعصية أكثر عقابا، ومنها أن تكون رحمته بعباده أكثر، ومنها أن تكون لطفا في الطاعة وعصمة عن المعصية، وعلى هذا تفضيل الأمكنة، وقد اتفق مصيبة آل رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فعظم ثوابهم وعظم ثواب أعدائهم أئمة الجور ودعاة الضلالة، وهذا تأويل خبر إن سأل سائل فقال: ما تأويل ما روي عن علي عليه السلام قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم فذكرنا الدجال فاستيقظ محمرّا وجهه فقال: غير الدجال أخوف عندي عليكم من الدجال أئمة مضلون، والجواب أن الخبر يقتضي كون أئمة مضلين من أمته من بعده فتنتهم وشرّهم أعظم من فتنة الدجال وذلك يحتمل وجهين، أحدهما أنه أراد الأمراء الذين يضلون الخلق ويزيلونهم عن الحق فيطيعونهم ويتبعونهم كأمراء بني أمية ومن بعدهم ممن جروا على سيرتهم استولوا على الخلق وقتلوا أئمة الحق من ذرية النبوة وأهل بيت الرسالة، ففتنتهم أعظم من فتنة الدجال حيث ضلوا وأضلوا، والثاني أنه أراد بقوله [أئمة مضلون] رؤساء البدع الدين يدعون الناس إلى الضلال ويلقون الشبه كأئمة البدع التي ظهرت في الأمة، فكل رئيس في بدعة إقتدى به جماعة

فضلوا عن الصواب وعدلوا عن الحق ففتنتهم أعظم من فتنة الدجال لأن الدجال كفره ظاهر لا يغتر به مؤمن ولا يجيبه إلى قوله مسلم وهؤلاء تسترّوا بالإسلام فعظم فتنتهم فهم بمنزلة المنافقين الذين كانت فتنتهم أعظم من فتنة الكفار المظهرين للكفر، وإذا احتمل الخبر الوجهين ولا مانع من حمل الخبر عليهما حُمل على المعنيين، وقد حمل بينهما أمراء الجور وقادة الضلال وأظهروا البدع والظلم ونصروا حزبه وقهروا الحق والعدل وقمعوا أهله، قال رحمه الله: وذكر السيد الإمام أبو طالب رضي الله عنه أن الصحيح أن يوم عاشوراء الذي قُتِل في الحسين عليه السلام وأصحابه كان يوم الجمعة عاشر المحرم سنة إحدى وستين، واختلف أهل النقل في عدد المقتولين يومئذ مع ما تقدم من قتل [مسلم] من العترة فالمكثرون على أنهم كانوا سبعة وعشرين فمن ولد علي: الحسين بن علي، وأبو بكر بن علي، وعمر بن علي، وعثمان بن علي، وجعفر بن علي، وعبد الله بن علي، ومحمد بن علي، والعبّاس بن علي، وإبراهيم بن علي، فهم تسعة، ومن ولد الحسن بن علي: عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن، وأبو بكر بن الحسن، وعمر بن الحسن، وكان صغيرا فهم أربعة، ومن ولد الحسين بن علي: علي بن الحسين، وعبد الله بن الحسين وكان صغيرا، [فَهُم] اثنان، ومن ولد جعفر : محمد بن عبد الله بن جعفر ، وعون بن عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن عبد الله بن جعفر، [فَهُم] ثلاثة ، ومن ولد عقيل رضي الله عنه: مسلم بن عقيل، وعبد الله بن عقيل، وعبد الرحمن بن عقيل، ومحمد بن عقيل، وجعفر بن عقيل، ومحمد بن مسلم بن عقيل، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وجعفر بن محمد بن عقيل، ومحمد ابن سعيد بن عقيل، فهم تسعة على جميعهم السلام، وآخر من قُتِل الحسين عليه السلام وحمل رؤوسهم إلى الشام ودفن جثثهم بالطف، فلما كان أيام المتوكل وكان سيء الإعتقاد في آل أبي طالب، شديد الوطأة عليهم، قبيح المعاملة معهم، ووافقه على جميع ذلك وزيره عبيد الله بن يحيى بن حاقان، فبلغ في سوء معاملتهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العبّاس، فأمر بتخريب قبور الحسين وأصحابه وكرّب مواضعهما وأجرا الماء عليها ومنع الزوار عن زيارتها وأقام الرصد وشدد في ذلك حتى كان يقتل من يوجد زائرا، وولى ذلك كله يهوديا وسلط اليهودي قوما من اليهود حتى تولوا ذلك إلى أن قُتِل المتوكل وقام بالأمر إبنه المستنصر فعطف على آل أبي طالب وأحسن إليهم وفرّق فيهم الأموال وأعادوا القبور في أيامه إلى أن خرج الداعيان الحسن ومحمد ابنا زيد، فأمر محمد بعمارة المشهدين، مشهد أمير المؤمنين ومشهد الحسين عليهما السلام وأمر بالبناء عليهما وبعد ذلك زيد فيه وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمها وعمارتها والأوقاف عليها وكان يزور كل سنة، وممن كان يميل إلى آل أبي طالب من خلفاء بني العبّاس قبل المنتصر الواثق، فإنهم اجتمعوا عنده بسر من رأى ، فكان يحسن إليهم ويدّر عليهم الأرزاق ويقرّبهم فلما توفي تفرقوا

في أيام المتوكل، وممن أحسن إليهم منهم أبو العبّاس السفّاح، لم يعاملهم بسوء ولا جرى منه إليهم مكروه، قال رحمه الله: أنشدنا المنصور الفقيه:

تذكر فديتك عند الخطوب منال قريش إلى المصطفى
وما نال في مؤتة جعفرا وفي أحد حمزة المرتضى
ونال البتول بموت الرسول ونال عليا إمام الهدى
ونال حسينا ومن قبله أخاه ومسلما المجتبى
وزيدا وما كان في هاشم ليالي ناح له من بكى
ويحيى بن زيد من بعده ركنين من حسن في السدى
ونال الحسين بفخ ويحيى ونال أخا القاسم من أذى
وما نال موسى بن عبد الله ونال علي بن موسى الرضا
ويحيى قتيل بني طاهر وميّتا بجرجان في العدى
ومن مات فيهم خفي المكان بعيد المحل حذير الورى
ليسهل كل عسير عليك ويحلو بقلبك مر القضا
ومازلت أسمع أن البلاء إذا اشتد بشّركم بالرخاء
وأن الرخاء إذا أعمكم فلابد من بعده من بلا
لأنكم من بني آدم وحال بني آدم ما ترى
إلى أن تكون بطون الثرى أحق بكم من ظهور الثرى
فصبرا وشكرا بني أحمد ففي الشكر والصبر المنى

وله:

مقالة ذي نصح فهل أنت قابل وأمر بمعروف فهل أنت فاعل
إذا المرء لم يكرم بني المصطفى له وإن قصروا في حقه فهو جاهل

قال رحمه الله: ومن نتف المنصور:

الخير عندي في السكوت وفـي ملازمة البيـــوت
فـإذا استوى لـك ذا وذا فاقتنع من الدنيا بقوت

قال رضي الله عنه وأنشدنا الشيخ أبو محمد المنصور:

النـــــاس بحر عميـــق والبعد عنهم سفينة
وقد نصحتـــك فـانظر لنفســـك المسكيـــنة

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين.

الحديث التاسع والثلاثون:

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، أخبرنا أبو أحمد محمد بن حميد الحافظ، أخبرني أبو الطيب الحسن بن موسى الرقي بأنطاكية، حدثنا عامر يعني سيّار، حدثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب، حدثنا جنذب بن سفيان: رجل من بجيلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {ستكون بعدي فتن كقطع الليل المظلم تصدم الرجل كصدم فحول الثيران يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، فقال رجل من المسلمين: كيف نصنع عند ذلك يا رسول الله؟ قال: أدخلوا بيوتكم وأخملوا ذكركم، فقال رجل من المسلمين: أرأيتم إن دخل عل أحدنا بيته، فقال صلى الله عليه وآله: فليمسك بيديه وليكن عبد الله المقتول ولا يكن عبد الله القاتل، فإن الرجل يكون في قبة الإسلام فيأكل مال أخيه ويسفك دمه ويعصي ربه ويكفر بخالقه ويوجب له جهنم}

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخبر عمّا هو كائن فكان كما أخبر، وقد شاهدوا هذه الفتن أيام بني أمية وملوك بني مروان، ويفيد أنه إذا غلب على ظنه أنه لا يؤثر الأمر بالمعروف أو لا يمكنه القيام بذلك جاز له أن يلزم بيته ويهتم بشأنه، ويفيد بأنه ينبغي أن يكون في تلك الفتنة من المغلوبين لا من

[أهل الفتنة][27] الغالبين الذين يقتلون الناس ويظهرون الفساد كما كان في أيام الحسين وزيد وغيرهما عليهم السلام، ويفيد وقوع التحابط في الثواب والعقاب.

الحديث الأربعون:

أخبرنا القاضي أبو الحسن أحمد بن علي، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الشجري، أخبرنا محمد بن أيوب الرازي، أخبرنا أبو الوليد يعني هشام بن عبد الملك، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {مَعِيشَةً ضَنْكًا } [طه : 124] قال: عذاب القبر. قال رحمه الله: الخبر يفيد أن الميّت يُعَذَّب في القبر، وإنما يكون ذلك لأهل العقاب دون أهل الثواب، ولا بد أن يحيي الله الميت في قبره ثم يُسأل ويُعاقب أهل العقاب ويُثاب أهل الثواب، لأن الميت لا يصح تعذيبه ولا بد أن يُرَدُّ إليه عقله ليصح سؤاله ويَعْلَم أن ما يُفْعَل به جزاءاً بعمله، واختلفوا في وقته، فقيل: في إبتداء الدفن، وقيل: بين النفختين، والذي يذهب إليه شيوخنا أنه كائن لا محالة، ولا نقطع بتوقيت معين، ويجوز أن يختلف الحال في ذلك.

تم الكتيّب ولله الحمد والمنة والفضل.

[27] هذه العبارة موجودة في النسخة [ب] وغير موجودة في النسخة [أ]